دلالو الكتب وعلاقتهم بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي
: دراسة تاريخية

إعـــداد

د/ منصور سعيد محمد

أستاذ مساعد – قسم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب – جامعة أسيوط

*مستخلص الدراسة:

هدفت الدراسة – باستخدام المنهج التاريخي- إلى تسليط الضوء على مهنة لم تحظ بالاهتمام الذي يتناسب مع دورها الحضاري في خدمة الفكر العربي والإنساني، ودورها كذلك تجاه المكتبات خلال العصرين الأموي والعباسي، ألا وهي مهنة دلاّلة الكتب، وقد تكونت الدراسة من مقدمة، وثلاثة أجزاء، وخاتمة، تناول الباحث في الجزء الأول التعريف بمهنة دلالة الكتب لغويًا واصطلاحيًا، وتاريخ تطورها، وعوامل ازدهارها، ووظائف الدلال ومهامه ودوره في تقييم الكتب وتسعيرها أثناء حلقات الدلالة، وأوضح في الجزء الثاني طبيعة علاقة دلالي الكتب بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي، وقدم في الجزء الثالث قائمة بأبرز دلالي الكتب ومن في حكمهم خلال هذين العصرين، أما الخاتمة فخصصها للنتائج والتوصيات، التي كان من أبرزها أن العرب إذا كانوا قد عرفوا مهنة الدلالة بشكل عام قبل ظهور الإسلام عن طريق الرومان، لكن ممارستهم لدلاّلة الكتب لم تظهر إلا بظهور تجارة الكتب في أواخر القرن الثاني الهجري، التي بتطورها تطورت أيضا دلالة الكتب، حتى صارت مهنة مرموقة أدبيًا وثرية علميًا ومربحة اقتصاديًا، بدليل ممارسة كبار العلماء والمؤرخين والأدباء والشعراء العرب لها، وإن كانت قد اقتصرت على الرجال دون النساء، كما امتازت بأسلوب خاص في ممارستها، وبطقوس فريدة في تطبيقها، وبمواثيق شرف في افتتاح حلقاتها، وقد تركزت مصادر حصول الدلالين على الكتب في ثلاثة مصادر أساسية هي: بيع تركات العلماء بعد موتهم، وسرقة الكتب ونهبها، وفقر العلماء وحاجتهم للمال، ووفقا لهذه المصادر فقد ارتبط دلالو الكتب بجميع الحالات التي كانت عليها المكتبات في العصرين الأموي والعباسي، فكانت علاقتهم تبدأ بالمكتبات التي كانت تنتهي وتُباع، وتنتهي بالمكتبات التي كانت تُقام وتُأسس، أو المكتبات القائمة والمستمرة.

٠/٠- تمهيد:

بادء ذي بدء كان لمعرفة العرب الورق وانتشار صناعته في بغداد منذ أواخر القرن الثاني الهجري واستخدامه في تصنيع الكتب، وانتقال صناعته إلى العواصم الإسلامية الأخرى أكبر الأثر في ظهور ما يُعرف بتجارة الكتب التي انتشرت في جميع ربوع الدول الإسلامية[١]، وقد بدأت تلك التجارة بسيطة في بداية أمرها، بسبب نقص عدد مصانع الورق ومن ثم قلة إنتاجه وتصنيعه، مما نتج عنه صعوبة في الحصول عليه إما لندرته من جانب، أو لارتفاع سعره من جانب آخر، مما جعل هناك قلة في الإنتاج الفكري العربي إلى حد ما، واقتصار معظمه على الموضوعات الدينية، لكن بمرور الوقت ومع زيادة مصانع الورق في الدول العربية والإسلامية وتزايد تصنيعه، وانخفاض سعره، وشغف العرب والمسلمون وحبهم للعلم والقراءة والاطلاع، فقد زاد الإنتاج الفكري العربي، الذي تجاوز فيه العرب والمسلمون الموضوعات الدينية إلى معظم مجالات المعرفة البشرية، بالإضافة إلى ولعهم وشغفهم الشديد باقتناء الكتب وجمعهم لها، وبذل الغالي والنفيس في سبيل الحصول عليها، لذلك صارت الكتب من أشهر سلعهم التجارية، وازدهرت التجارة الخاصة بها في العالمين العربي والإسلامي، حتى صارت ظاهرة اقتصادية مغلفة بصبغة علمية وفكرية فريدة من نوعها اختصت بها الحضارة الإسلامية عن سوها من الحضارات، وبالبحث والتنقيب عما كان يُطلق من مصطلحات على المشتغلين والمهتمين بتجارة الكتب في الحضارة الإسلامية، تم التوصل إلى وجود عدة مصطلحات، كان من أبرزها على سبيل المثال لا الحصر: الدلاّل، والمنادي، والكتبي، والسمسار، والتاجر، والمتسبب، والمكتسب، والوراق، والجوال... إلخ[٢]، وبالطبع في ظل تباين تلك المهن فيما كان يُطلق عليها من مصطلحات، وفي ظل أيضا ما كان يوجد بينها من فوارق واختلافات، فقد تباينت كذلك في مدى الاهتمام بها وبخاصة من ناحية التأريخ والبحث العلمي، ففي الوقت الذي حظيت فيه مهن كثيرة كمهنة الوراقة باهتمام المؤرخين والباحثين قديمًا وحديثًا، لكن دلاّلة الكتب لم تحظ بنفس هذا الاهتمام، بالرغم من كونها كانت مهنة أساسية كمهنة الوراقة في الحضارة الإسلامية، وكانت لا تقل شأنًا ومكانة عنها، كما كانت مهنة مرموقة أدبيًا واجتماعيًا

ومربحة اقتصاديًا لمن يمارسها، بدليل ممارسة كبار العلماء والأدباء والشعراء العرب والمسلمين لها، الأمر الذي دفع غيرهم إلى الاشتغال بها، بل حفز بعض أصحاب المهن الأخرى حتى الوراقين أنفسهم إلى ممارستها بجانب مهنتهم الأصلية، أو أن بعضهم غير نشاطه كليًا وتحول إلى دلال للكتب، هذا بالإضافة إلى أنها كانت مهنة ذات أصول وثوابت، وتحكمها قيم وآداب وسلوكيات وأخلاقيات معظمها نابع من مبادئ وقيم الدين الإسلامي الحنيف، علاوة على تميزها بأسلوب خاص وطقوس فريدة في ممارستها قل أن يجود الزمان بمثلها.

ولم تقتصر أهمية مهنة دلالة الكتب على مجرد المتاجرة في الكتب عن طريق البيع والشراء فقط، بل تخطتها إلى أمور أخرى كانت على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للكتب والمهتمين بها والمكتبات آنذاك، فبالنسبة للكتب كانت دلالة الكتب إحدى وسائل التعريف بها والدعاية والترويج لها والإعلان عنها، ومن ثم المساهمة في تسويقها ونشرها وتداولها والإفادة منها بأساليب تتناسب وطبيعة العصر، أما بالنسبة للمهتمين بها فكانت حلقات دلالة الكتب في الحضارة الإسلامية بمثابة مجالس علمية وفكرية وأدبية فريدة من نوعها لايوجد لها مثيل الآن سوى في معارض الكتب والندوات والمؤتمرات والمناقشات العلمية، كما كانت هذه الحلقات بمثابة قناة هامة من قنوات اتصالهم العلمي وتداولهم للمعلومات، لأن جمهورها كان من كبار العلماء والأدباء والشعراء ومحبي الكتب وصفوة المجتمع آنذاك، لذلك كان من الطبيعي أن يتخللها نوع من النقاش والنقد والتعليق والتصحيح والمراجعة، أما بالنسبة للمكتبات ونظرا لقيام هذه المهنة على الكتب، التي كان معظمها يصل إلى أيدي الدلالين عن طريق مكتبات، وينتقل من خلالهم إلى مكتبات أخرى، لذا جمعت بينهم وبين المكتبات في العصرين الأموي والعباسي علاقة متعددة الجوانب، تلك العلاقة التي كانت تبدأ وتنتهي في معظم أحوالها بمكتبات، فالمكتبات التي كانت تبدأ بها هذه العلاقة، تمثلت في تلك المكتبات التي كانت تصيبها النوائب والرزايا والمصائب، حيث كان مصير مجموعات تلك المكتبات يؤول إلى أيدي الدّلالين وغيرهم للمتاجرة فيها سواء بالبيع أو الشراء في أسواق الوراقين وحوانيتهم وغيرها من الأماكن الأخرى في بعض الأحيان، أما المكتبات التي كانت تنتهي بها هذه العلاقة، فتمثلت

في المكتبات التي يتم تأسيسها، أو المكتبات الموجودة بالفعل، حيث كان أصحاب تلك المكتبات يعتمدون على الدّلاّلين وغيرهم في اختيار كتبها وتزويدها بكل ما هو نادر ونفيس، لأن دلالي الكتب في ذلك الوقت كانوا الأكثر دراية وخبرة بكل ما هو غث وثمين من الكتب، وكذلك الأكثر خبرة في تقييم الكتب وتسعيرها، وبالرغم من ثراء هذه المهنة في العصرين الأموي والعباسي أدبيًا وعلميًا وفكريًا ومهنيًا واقتصاديًا واجتماعيًا، وبالرغم أيضا من علاقتها الوطيدة بالمكتبات خلال هذين العصرين، تلك العلاقة التي يمكن وصفها بأنها كانت مباشرة في بعض الأحيان وغير مباشرة في أحيانا أخرى، ومع هذا فلم يتطرق إليها أحد من المتخصصين في علم المكتبات والمعلومات بالبحث والدراسة، بالرغم من علاقتها الوثيقة بتخصصهم، وما يمكن أن يضيفه دراسة هذا الموضوع إلى التراث العربي بشكل عام والإنتاج الفكري العربي في علم المكتبات والمعلومات بشكل خاص، وسد ثغرة من الثغرات التي من المحتمل أنها لاتزال موجودة في كيان هذا العلم.

١/٠- مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة هذه الدراسة في أنه بالرغم من ممارسة العرب لمهن كثيرة كانت على علاقة وثيقة بالكتب والمكتبات في العصرين الأموي والعباسي، وازدهرت بازدهارها، لكن بعض هذه المهن حظي بتسابق فكر وأقلام المؤرخين والباحثين قديمًا وحديثًا إليها، مما أدى إلى شهرتها، وصدور إنتاج فكري ثري ومميز عنها، وفي المقابل ابتعد فكرهم ورُفعت أقلامهم بعض الشيء عن مهن أخرى كمهنة دلالة الكتب، مما أدى إلى اختفاءها وتواريها إلى حد ما عن الأنظار، وعدم شهرتها، وقلة ما صدر عنها من إنتاج فكري قديمًا وحديثًا، بالرغم مما كان يمثله دلالو الكتب من دور بارز في التعريف بالكتب والدعاية والترويج لها والإعلان عنها، ومن ثم المساهمة في تسويقها ونشرها والإفادة منها، وبالرغم أيضا مما كانوا يشكلونه من أهمية بالنسبة للمكتبات في هذين العصرين، حيث كان دلالو الكتب بمثابة المطاف النهائي الذي تؤول إليهم مجموعات المكتبات التي تتعرض للمصائب والنوائب والرزايا، وكانت تلك المجموعات تنتقل من خلالهم أيضا سواء بشكل

مباشر أو غير مباشر إلى مكتبات أخرى كالمكتبات التي يتم تأسيسها أو المكتبات القائمة بالفعل.

٢/٠- أهمية الدراسة ومبررات اختيارها:

لعل أبلغ وصف يمكن أن توصف به الحضارة الإسلامية وتحديدًا بعد معرفة العرب والمسلمين للورق في أواخر القرن الثاني للهجرة وتصنيعهم له واستخدامه في صناعة الكتب، هو أنها كانت حضارة علم وعلماء أو بشكل آخر أنها كانت حضارة كتب ومكتبات، ويعد الوصف الأخير من وجهة نظر الباحث هو الأعم والأشمل والأقرب للحالة التي كانت عليها الحضارة الإسلامية في فترات ازدهارها وعنفوانها من الوصف الأول، لأن العلم لا يكون له قيمة بدون كتب تحفظه وتساهم في نقله للآخرين، تلك الكتب التي يمكن أن تفقد قيمتها وأهميتها بدون مكتبات تحافظ عليها وتساعد على الإفادة منها، علاوة على أن الكتب والمكتبات شكلت جزءاً هاماً وأصيلًا من تاريخ تلك الحضارة، كما كانت ملمحًا هامًا من ملامح تميزها الثقافي والأدبي والعلمي عن غيرها من الحضارات آنذاك، فبالنسبة للكتب كانت وسيلة العلماء العرب والمسلمين في حفظ خلاصة عقولهم وأفكارهم وتوصيلها للآخرين والأجيال التالية، أما بالنسبة للمكتبات فكان لها الفضل في جمع تلك الكتب وتنظيمها وحفظها وإتاحتها، ومن ثم المساهمة في تداولها والإفادة منها، علاوة على أن تلك الحضارة شهدت العديد من الظواهر العلمية الفريدة كالمناظرات وحلقات الدرس ومجالس الإملاء، وازدهرت بها حركة الترجمة التي بظهورها بدأ التأليف العربي يتجاوز حدوده التقليدية، وأصبح المسلمون لا يلتزمون فيه بموضوعات محددة، بل تجاوزوها إلى معظم مجالات المعرفة البشرية، وبالطبع ما كان للحضارة الإسلامية أن تصل إلى ما وصلت إليه من تقدم ورقي وازدهار إلا بمعرفة الورق، وإنتاجه وتصنيعه، واستخدامه في صناعة الكتب، وقد تجلت آثار كل هذا في انتشار تجارة خاصة بالكتب في أسواق الوراقين وحوانيتهم، وكان إلى جانب الوراقين والنساخ والمجلدين وغيرهم - الذين كانوا يتاجرون في الكتب وأدوات الكتابة بيعًا وشراءً - فقد عمل فيها فئات أخرى من الأشخاص، الذين اتخذوها حرفة لهم، يتكسبون منها، ويتعيشون من ورائها؛ وكان من بين هؤلاء مشاهير العلماء والأدباء والمؤرخين والشعراء

ورجال الفكر والدين وغيرهم، لذا حفلت المصادر التاريخية بالكثير من المصطلحات والمسميات التي كانت تُشير وترمز إلى كل من يُتاجر في الكتب، وكان من بين هذه المصطلحات مصطلح دلاّل الكتب، والذي يقصد به كل شخص كان يُتاجر في الكتب عن طريق الدلالة، والمناداة عليها في حلقات تُقام خصيصًا لهذا الغرض سواء في أسواق الوراقين وحوانيتهم أو غيرها من الأماكن وبخاصة عندما كانت تستدعي الحاجة ذلك، كما كان دوره يمتد فيها أيضا إلى إبراز مزايا كل كتاب يعرضه للبيع ويقيمه ويسعره من حين لآخر.

وبذلك إذا جاز تشبيه دلاّلي الكتب وما كانوا يمثلونه من أهمية بالنسبة للحضارة العربية والإسلامية وتحديدا خلال العصرين الأموي والعباسي فيمكن تشبيههم كجنود مجهولين وتحديدًا في مجال تجارة الكتب وتسويقها ونشرها، والدعاية والترويج لها والإعلان عنها والتعريف بها، كما كانت حلقات دلالتهم بمثابة قناة هامة من قنوات الاتصال العلمي وتداول المعلومات بين علماء العرب والمسلمين آنذاك، وبالرغم من هذا فقد أغفل القدماء أخبارهم ولم يهتموا بهم كما اهتموا بغيرهم من أصحاب المهن الأخرى، مما جعل أخبارهم نادرة ومبعثرة في بطون مؤلفاتهم، ولم يكن يأتي الحديث عنهم أو ذكرهم، إلا عندما يأتي الحديث عن أصحاب مهن أخرى على علاقة بهم، ولم يقتصر أمر تجاهلهم على القدماء فقط، بل امتد أيضا إلى المعاصرين، حيث لم يتوصل الباحث إلى دراسة عربية واحدة عن دلاّلي الكتب بصفة عامة وعن علاقتهم بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي بصفة خاصة، ولكن كل ما استطاع أن يتوصل إليه كان عبارة عن معلومات بسيطة ومبعثرة في بطون الكتب قديمها وحديثها، وبحاجة لمن يجمع ويلمم شتاتها ويحللها ويفندها، وبالرغم من ندرة المعلومات وقلة الدراسات عن دلالي الكتب وعن علاقتهم بالمكتبات خلال هذين العصرين، لكن تبين للباحث - بعد اطلاعه على العديد من المصادر قديمها وحديثها - أن دلاّلة الكتب تعد من أكثر المهن حاجة إلى التوقف أمامها طويلًا ودراستها دراسة عميقة، لأن بجانب أنها جزء أصيل من تخصص علم المكتبات والمعلومات وبخاصة فيما يتعلق بدراساته التاريخية والاقتصادية والتسويقية وأحيانا الميدانية، فهي كانت مهنة عريقة في تاريخها وثرية في مضمونها، وغنية في

محتواها، ومتعددة في أبعادها، فكان بها البُعد الأخلاقي ذلك البعد الذي ظهر جليًا وواضحًا من خلال تمسك معظم دلاّلي الكتب بقيم وأخلاق وآداب وسلوكيات الدين الإسلامي السمحة في ممارستهم لها، تلك الأمور التي كان يفترض أن يلتزم بها جميع الدلالين، لأن مثل تلك الأمور كانت بمثابة رقابة ذاتية على سلوكيات الدلالين وتعاملاتهم وتصرفاتهم في حلقات الدلالة وغيرها؛ بالرغم من شذوذ بعض دلالي الكتب عن هذا المسار، فكان منهم من يقوم بإخفاء بعض الكتب لنفسه أو لغيره، أو يُسعرها بغير قيمتها، أو يُستخدم أحيانا كأداة للكيد والتشهير بآخرين، كما كان ذات بُعد مهني ذلك البعد الذي ظهر فريدًا من خلال وجود طقوس خاصة لممارستها، وأسلوب مميز لها، ومواثيق شرف في افتتاح حلقاتها، الأمر الذي جعل منها مهنة مختلفة عن غيرها من المهن الأخرى المرتبطة منها بالكتب والمكتبات، أما من حيث بُعدها الاقتصادي فكانت مهنة مربحة اقتصاديًا لمن يمارسها، وكانت ذات دور بارز في انتعاش الاقتصاد الإسلامي وازدهاره، لأن الكتب كانت من أشهر السلع التجارية عند العرب والمسلمين، لأنهم كانوا يبذلون الغالي والنفيس في سبيل الحصول عليها، أما من حيث بُعدها الإعلامي فكانت مهنة فريدة من نوعها وبخاصة في مجال الدعاية والترويج للكتب والإعلان عنها وتسويقها ونشرها بأسلوب يتناسب مع طبيعة العصر وظروفه، ألا وهو أسلوب النداء، أما من حيث بُعدها الأدبي والثقافي فكانت مهنة مرموقة أدبيًا وثقافيًا وعلميًا، بدليل ممارسة كبار العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم لها، كما كانت حلقاتها بمثابة ندوات أدبية وعلمية فريدة من نوعها، لأنها كانت تشهد نقاشًا وتصحيحًا ونقدًا ومراجعة لما يعرضه الدلالون من كتب، الأمر الذي كان نتيجته تحقيق نوع سريع ومباشر من الاتصال العلمي وتداول للمعلومات فيما بين جمهور الحاضرين من علماء وأدباء وشعراء ومفكرين ومؤرخين ...إلخ، مثلما يحدث الآن في المؤتمرات والندوات والمناقشات العلمية وخلافه، أما من حيث بُعدها الاجتماعي فكان بعض دلالي الكتب يراعون ظروف بعض محبي الكتب وبخاصة طلبة العلم وتلاميذه الذين كانوا يرغبون في شراء الكتب ولا يستطيعون بسبب ظروفهم المالية، كما كانوا يراعون ظروف بعض أصحاب الكتب الذين

يرغبون في بيع كتبهم بأعلى سعر لحاجتهم للمال، لذلك كان بعض الدلالين يحاولون إيصال كتبهم إلى أعلى سعر.

لكن بمرور الوقت لم تعد مهنة دلاّلة الكتب الآن كسابق عهدها وبخاصة على المستوى العربي، فهي وإن لم تكن قد اختفت بشكل نهائي، لكن طرأ عليها بعض الأمور التي أثرت فيها بشكل كبير، وهذا ما أكده الكتبي القديم بلهاشمي الذي ذكر: أن في الماضي كانت الكتب تأتي، ولا نعرف من أين تأتي، وكان فيها العجب العجاب، لكن اليوم فقدت رونقها بعدما توقف الكثيرون عن ارتياد حلقات الدلالة، وقد زكى هذا الرأي أيضا الكتبي المعروف عمر زويتة صاحب مكتبة الوعي الذي تم استنطاقه في بداية سبعينات القرن الماضي من طرف البوليس بسبب ترويجه لكتاب (أفكار ضد الرصاص) للأديب لويس عوض، وقد تألم عمر زويتة كثيرًا لهذا الموقف، لأن دلاّلة الكتب أصبحت مجرد فضاء يعبث به البعض بعد أن هجرها المثقفون والعلماء، وأصبحت تروج فقط لكتب محدودة، ولا تستقطب إلا شريحة تنشر الظلام أكثر من العلم، وهذا ما دفع البعض إلى تنظيم (دلّالات) أخرى، ولكن بشكل سري داخل البيوت، خاصة إذا تعلق الأمر ببيع مكتبة بعض الأسر العريقة والتي تسبب نزاعات الوراثة في اختلافات تفضي في النهاية إلى بيع كنوز ثمينة بأبخس الأثمان[٢]، واستمرارا لحالة الضعف والوهن التي مُنيت بها مهنة دلالة الكتب في العالم العربي الآن، التي أصبحت تُمارس من قبل أصناف المتعلمين، وغير المتعلمين، والذين لا يدركون قيمة الكتب وأهميتها، الأمر الذي دفعهم إلى ممارستها في أماكن غير مخصصة وبأسلوب غير منظم وعشوائي، وعلى كتب فارغة المضمون والقيمة، ومعظمها يقع في نطاق الكتيبات، التي لا يُعرف مصدرها ومنشأها، كما انصرفت الدلالة لأوعية معلومات غير الكتب كالدوريات مثلا، وأصبحت مجرد الغاية هو الحصول على المال فقط، وبالإضافة إلى ما سبق كان من مبررات الدراسة أيضا ما يلي:

١- ندرة الإنتاج الفكري العربي عن دلاّلي الكتب علاقتهم بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي، حيث لم يتوصل الباحث إلى دراسة عربية واحدة عن هذا الموضوع، ولكن كل ما استطاع أن يتوصل إليه كان عبارة معلومات بسيطة

ومبعثرة في بطون الكتب قديمها وحديثها، تلك المعلومات التي كانت بحاجة ماسة لمن يجمعها ويربطها ويحللها ويفندها بهدف سد الفجوة القائمة في الإنتاج الفكري العربي في علم المكتبات والمعلومات عن هذا الموضوع.

٢- تخطت أهمية مهنة دلّالة الكتب من مجرد المتاجرة في الكتب بيعًا وشراءً إلى أمور أخرى، كانت على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للكتب والمهتمين بها والمكتبات، فبالنسبة للكتب كانت الدلالة وسيلة جيدة للتعريف بها والدعاية والترويج لها والإعلان عنها وتسويقها ونشرها، أما بالنسبة للمهتمين بها فكانت حلقاتها فرصة جيدة لاتصالهم العلمي وتداولهم للمعلومات وتعريفهم بكبار العلماء والأدباء ... إلخ وإقامة علاقات جيدة معهم، أما بالنسبة للمكتبات فكان دلالو الكتب بمثابة حلقة اتصال لانتقال الكتب فيما بينها، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في المحافظة على التراث العربي وانتشاره ووصوله إلى الأجيال المتعاقبة

٣- خلط كثير من الباحثين بين مهنة دلّالة الكتب وغيرها من المهن الأخرى وبخاصة مهنة الوراقة، بالرغم من وجود فوارق جوهرية بينهما.

٤- تنوع أشكال علاقة دلالي الكتب بالمكتبات خلال العصرين الأموي والعباسي، ففي بعض الأحيان كانت علاقة مباشرة، وفي البعض الآخر كانت غير مباشرة، لذلك ارتبط دلالو الكتب بجميع الحالات التي كانت عليها المكتبات في هذين العصرين بداية من المكتبات التي ينتهي أمرها ويقف عطاءها بسبب المصائب والنوائب والرزايا التي كانت تصيبها، وصولًا إلى المكتبات التي كان يبدأ تأسيسها، أو المكتبات القائمة التي تُدعم وتُزود ليستمر عطاءها.

٥- ممارسة مشاهير العلماء والأدباء والشعراء والوراقين وغيرهم لمهنة دلّالة الكتب، حتى صار بعضهم يُكنى بها، وهذا ما أعطاها أهمية وقيمة وزاد من مكانتها بين المهن الأخرى.

٦- يرجع الفضل لمهنة دلّالة الكتب في تعريف المسلمين ظاهرة علمية فريدة كحلقات الدلالة للكتب، وما كان يتخللها من نقاش ومناظرات ومجالس علمية.

٠/٣- أهداف الدراسة: هدفت الدراسة - في ضوء ما سبق - إلى إلقاء الضوء على مهنة دلالة الكتب بشكل عام وعلاقة الدلالين بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي، ويتفرع هذا الهدف بطبيعة الحال إلى الأهداف التالية:

١- تسليط الضوء على مهنة دلّالة الكتب وكل ما يدخل في إطارها من أعمال ومهام أخرى، وكذلك الوقوف على دورها الحضاري في خدمة الفكر العربي والإنساني.

٢- سد الفجوة القائمة في الإنتاج الفكري العربي لعلم المكتبات والمعلومات عن دلالي الكتب بشكل عام وعن علاقتهم بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي، وإثراء هذا الإنتاج بدراسات عن هذا الموضوع.

٣- تتبع تاريخ تطور مهنة دلالة الكتب وازدهارها، ووظائف الدلال ومهامه ودوره في تقييم الكتب وتسعيرها، وكذلك مصادر حصوله على الكتب في العصرين الأموي والعباسي.

٤- وصف طبيعة علاقة دلاّلي الكتب بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي وتحليلها وتفنيدها.

٥- حصر أبرز دلاّلي الكتب العرب ومن في حكمهم خلال العصرين الأموي والعباسي.

٠/٤- تساؤلات الدراسة: كان لتحقيق ما تهدف إليه الدراسة ضرورة الإجابة على التساؤل التالي: من هم دلالي الكتب وما طبيعة علاقتهم بالمكتبات خلال العصرين الأموي والعباسي؟"، ويتفرع هذا التساؤل إلى ما يلي:

١- ما طبيعة مهنة دلّالة الكتب وتاريخ تطورها وخصائصها وعوامل ازدهارها في العصرين الأموي والعباسي؟.

٢- ما وظائف دلال الكتب ومهامه ودوره في تقييم الكتب وتسعيرها خلال العصرين الأموي والعباسي؟.

٣- ما مصادر حصول الدلاّلين على الكتب، وكيف كانت علاقاتهم بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي؟.

٤- من أشهر دلاّلي الكتب العرب ومن في حكمهم خلال العصرين الأموي والعباسي؟.

٠/٥- حدود الدراسة: تمثلت حدود هذه الدراسة فيما يلي:

٠/٥/١- الحدود الموضوعية: واهتم فيها الباحث بدلالي الكتب بشكل عام وعلاقتهم بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي بشكل خاص.

٠/٥/٢- الحدود المكانية: التي امتدت من العرق شرقًا وحتى الأندلس غربًا.

٠/٥/٣- الحدود الزمنية: التي بدأت من أواخر العصر الأموي وحتى نهاية العصر العباسي، ويرجع اختيار الباحث لهذه الفترة، لأنها شهدت البداية الحقيقية لمعرفة المسلمين للورق وتصنيعهم له، وازدهار تجارة الكتب بها، وكذلك بداية تأسيسهم للمكتبات بمعناها الحقيقي، علاوة على أن المكتبات خلال هذه الفترة شهدت أحداثًا جسام، بعض منها كان سببًا في ازدهارها، والبعض الآخر ساهم في تدهورها، وفي كلا الأمرين كان لدلالي الكتب علاقة بالمكتبات.

٠/٦- منهج الدراسة وأدوات جمع المادة العلمية: اعتمد الباحث في دراسته لهذا الموضوع على المنهج التاريخي، ذلك المنهج الذي تطلب منه الاطلاع على العديد من المصادر التاريخية، للبحث فيها عن أية نصوص تتعلق بدلاّلي الكتب بصفة عامة وعلاقتهم بمكتبات الحضارة الإسلامية بصفة خاصة، ثم قام بتجميعها، ومقارنتها، وفحصها، والتعليق عليها للخروج بصورة كاملة وواضحة المعالم عن هذا الموضوع، وإن كان هذا لايعني اقتصار مصادر الدراسة ومراجعها على المصادر التاريخية والقديمة فقط، بل كان هناك تواجد أيضا للمراجع الحديثة، التي بلا شك كان لها الفضل في وصول الباحث إلى العديد من المصادر التاريخية القديمة.

٠/٧- مصطلحات الدراسة: بالرغم من ثراء الدراسة بالعديد من المصطلحات، لكن كان من أبرزها والمرتبة هجائيًا ما يلي:

٠/٧/١- التاجر: اسم فاعل مشتق من مادة تجر، ومنها تجارة: أي باع وشرى، ورجل تاجر، والجمع تُجار، وتُجر[٤]، والتاجر هو الذي يبيع ويشتري، وقانونيًا هو كل رجل مشتغل بالتجارة ويعقد بسببها مقاولة ومعاملة مربوطة بصكوك أو عقود، وكان العرب قديمًا يطلقون أيضا على بائع الخمر لفظ تاجر، والتجارة صنعة التاجر وتطلق أحيانا على البضاعة أي ما يتاجر فيه[٥].

٠/٧/٢- الدلاّل: اسم فاعل مشتق من مادة دلل، ودلل الشيء أي خففه وفرقه، والدلالة مصدر، والاسم من الدلاّل الجامع بين البائع والمشتري، والدلاّل على السلعة عرضها للبيع منادياً عليها، والدلالة حرفة الدلاّل الذي يتوسط بين البائع والشاري[٦]، ومن ثم يُعرف الباحث دلال الكتب بأنه أي شخص تخصص مهمته في المتاجرة في الكتب عن طريق البيع والشراء من خلال المناداة عليها في حلقات تقام خصيصا لهذا الغرض بهدف الدعاية والترويج لها والإعلان عنها لجذب أكبر عدد من الجمهور لبيعه بأعلى سعر، كما كان دوره يمتد إلى إبراز مزايا وخصائص كل كتاب وعيوبه، بالإضافة إلى ضرورة تمتعه بخبرة في تقييم الكتب وتسعيرها، ويتم كل هذا في ضوء مجموعة من الآداب والسلوكيات والأخلاق، التي تتلخص في ضرورة تأكد الدلال وتثبته من شخصية الذي سيشتري الكتاب ومدى أمانته، كما يجب عليه فحص الكتب وتقييمها قبل بيعها، وفي المقابل كان يحظر عليه الدلالة على الكتب المخالفة للدين والفقه، وأن يتمتع بخبرة في تقييم الكتب وتسعيرها.

٠/٧/٣- السمسار: اسم فاعل مشتق من مادة سمسر، وسمسر الرجل أي صار سمسارًا، والسمسار هو ذلك الشخص الذي يتوسط بين البائع والشاري والساعي للواحد منهما في استجلاب الآخر، وهو غير الدلال، والسمسرة مصدر وحرفة السمسار وأجرته[٧].

٠/٧/٤- الوراق: اسم فاعل مشتق من مادة ورق، وهو الذي حرفته الوراقة، ورجل وراق: أي الذي يورق ويكتب[٨]، وهو صاحب الورق وصانعه وحرفته الوراقة[٩]، التي عرفها ابن خلدون بأنها "عملية الانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية الأخرى"[١٠]، وتتكون كصناعة من العناية بالكتب ورعايتها بالاستنساخ، والتصحيح، والتجليد، وسائر الأمور الكتابية، والدواوين[١١].

٠/٨- أدبيات الموضوع: بعد اطلاع الباحث على دليل الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات بطبعاته المختلفة[١٢]، وغيره من المصادر العربية والأجنبية، لم يتوصل إلى دراسة عربية واحدة عن موضوع هذه الدراسة، وإن كان قد توصل إلى بعض الدراسات والأبحاث التي تناولت بعضًا من جوانب الموضوع، والمرتبة تاريخيًا أو زمنيًا من الأقدم فالأحدث، أما لو كان هناك اتفاق في تاريخ

النشر، فقد لجأ الباحث إلى الترتيب الهجائي حسب اسم المؤلف، لذلك جاءت الدراسات على النحو التالي:

١- دراسة **يحيى محمود ساعاتي** التي بعنوان "**ملامح من تاريخ تجارة الكتب في الإسلام**"[١٣]، وكان الهدف منها إبراز ما كانت تمثله الكتب من ثقل في اقتصاد العالم الإسلامي خلال عصوره المتعاقبة حتى القرن الحادي عشر الهجري، وكيف أن الاتجار بها كان عملًا رائجًا وشائعًا واستهوى أقطابًا من مشاهير العلماء المسلمين، كما تناول مصادر الحصول على الكتب للمتاجرة فيها، وطرق بيع الكتب وأثمانها، واختتم الدراسة بالحديث عن بعض تُجار الكتب، وبعض مشكلات تجارتها.

٢- دراسة **سيف شاهين خلف المريخي** التي بعنوان "**تجارة الكتب عند العرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين**"[١٤]، وتناول الباحث فيها تجارة الكتب عند العرب المسلمين في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، وبحث تطور اهتمامهم بالكتب والورق وعنايتهم بهما، كما سلط الضوء على أهم مراكز وأسواق الكتب في الدول العربية والإسلامية، وتعرض كذلك لطرق ووسائل تسويق الكتب، وتحدث عن أشهر تُجار الكتب وتطرق أيضا إلى أسعار الكتب في ذلك العصر، وقد أسفرت الدراسة عن عدة نتائج، كان من أهمها:

١- أن الاهتمام بالكتب ونسخها والإنفاق عليها كانت عادة قديمة عند العرب المسلمين مارسها الخلفاء منذ عهد الدولة الأموية، ووصلت إلى ذروتها في عصر الدولة العباسية وبخاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين.

٢- أسهمت صناعة الورق في تنشيط عملية الإنتاج الثقافي والفكري، كما أسهمت الأسواق العامرة بحوانيت الورّاقين والنساخين في الرواج التجاري لهذا الإنتاج وزيادته وتنوعه.

٣- يظهر واضحاً جلياً انتشار الثقافة والعلوم في هذه الفترة عند العرب المسلمين وكان الإقبال شديداً على التعلم والاستفادة من العلوم العربية ومن التراث العلمي العالمي في ذلك العصر عند كل من الإغريق والسريان والفرس والهنود ونقله ونسخه وعرضه للتداول.

٤- كانت تجارة الكتب تجارة مربحة، وكانت أيضا من المهن الرفيعة التي مارسها العديد من العلماء والأدباء ورجال الفكر وكانت تحتل مكانة بارزة في المجتمع وتدر دخلاً مجزياً.

٥- أسهمت تجارة الكتب إسهامًا كبيرًا في حفظ التراث العربي، وساعدت كذلك على انتشاره وتعميمه وتسهيل انتقاله من مكان إلى آخر في كل أرجاء الدولة الإسلامية.

٦- قامت حوانيت الكتب ودكاكينها وأسواقها بدور كبير في إثراء الحركة العلمية وخلق جو علمي نشط، فهي لم تكن فقط أماكن لنسخ الكتب وعرضها وبيعها، بل كانت أيضا مراكز ثقافية تعرض فيها الآراء والأفكار وتدور فيها المساجلات والمناقشات الفكرية والأدبية والدينية.

٧- بالرغم من ارتفاع أسعار الكتب وزيادة الإقبال عليها، لكن كان غالبية تُجارها من العلماء والأدباء وأنها تكاد تخلو من وجود تُجار دخلاء ممن ليس لهم معرفة جيدة بقيمة الكتب.

٣- دراسة **عابد سليمان المشوخي** التي بعنوان "**تجارة المخطوطات وطرق تقييمها وفحصها**"[١٥]، وقد هدف الباحث من هذه الدراسة التعرف على كيفية اقتناء المخطوطات وطرق تقييمها وفحصها، والأمور والأسباب التي ترفع وتحط من قيمتها، وتوضيح الاعيب بعض التُجار وحيلهم، وقد توصل إلى العديد من النتائج، كان من أبرزها ما يلي:

١- عرفت تجارة المخطوطات منذ ظهور صناعة الورق وانتشارها، وظهور طبقة الوراقين الذين أخذوا يتاجرون في الكتب من خلال حوانيتهم التي انتشرت في بغداد وغيرها من المدن العربية منذ القرن الثاني الهجري وما تلاه.

٢- شاركت فئات عديدة في تقييم الكتب منها: الوراق، والدلال، والناسخ، والعالم.

٣- كان لعنوان الكتاب، ومؤلفه، ومكانته العلمية تأثير كبير في تقدير ثمنه.

٤- تفاوتت أسعار الكتب بسبب اختلاف الزمان والمكان، واختلاف أجور النساخ، وأسعار الورق وأدوات الكتابة، ونوع الخط، وجودة الحبر والورق.

٤- دراسة محمد عبد الفتاح كامل التي بعنوان "مواقع تجارة الكتب المستعملة على شبكة الإنترنت: دراسة تحليلية تقييمية مقارنة"(١٦)، وتناول الباحث فيها المواقع العربية والأجنبية المتخصصة في تجارة الكتب المستعملة بفئاتها الثلاثة وهي: المواقع التي تبيع الكتب المستعملة فقط، والمواقع التي تبيع وتشتري الكتب المستعملة، والمواقع التي تشتري الكتب المستعملة فقط، وذلك بهدف تحديد سمات وخصائص تلك المواقع والمتمثلة في محورين أساسيين: أولهما البنية والتصميم الخاص بتلك المواقع والتي تشمل المسئولية الفكرية والمادية ونوع النطاق والتوزيع الجغرافي واللغوي ولغات البرمجة المستخدمة في تصميم صفحات تلك المواقع ومدى وجود وسائط متعددة فيها، أما المحور الثاني فضم المحتوى والخدمات والسياسات الخاصة بتلك المواقع والتي تضم المحتوى الموضوعي لمواقع تجارة الكتب المستعملة والخدمات التي تقدمها وسياسة العمل داخلها، وقد بدأت الدراسة بمقدمة منهجية توضح أهميتها ومنهجها والتعريف بمجتمعها، كما استعرضت الإنتاج الفكري العربي والأجنبي المتعلق بهذا الموضوع، وفي النهاية قدم الباحث مقترحًا لموقع متخصص في تجارة الكتب المستعملة مستعينًا بالعديد من النماذج العربية والأجنبية المتخصصة في هذا المجال.

*أجزاء الدراسة:

نظرا للطبيعة التاريخية لموضوع الدراسة الحالية، فقد رأى الباحث من الأفضل تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء، ركز في جزءها الأول على التعريف بمهنة دلالة الكتب من حيث أصلها اللغوي والاصطلاحي، وتاريخ تطورها، وعوامل ازدهارها، ووظائف دلال الكتب ومهامه ودوره في تقييم الكتب وتسعيرها أثناء انعقاد حلقات الدلالة، وتناول في جزءها الثاني علاقة دلالي الكتب بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي، بينما خصص جزءها الثالث لأبرز دلالي الكتب العرب ومن في حكمهم خلال هذين العصرين، ومحتوى هذه الأجزاء على النحو التالي:

"الجزء الأول: دلالة الكتب: هويتها وطبيعتها وخصائصها:

١/١- دلالة الكتب: لغويًا واصطلاحيا وتاريخيًا:

الدِّلاّلة بكسر الدال، أو فتحها هي أُجرة الدلاّل أو مهنته، وقد ورد في لسان العرب أن الدَّلاّل هو الذي يجمع بين البَيِّعَيْن (أي البائع والمشتري)، والاسم الدِّلالة والدَّلالة، والدَّلالة، بالفتح كما قال ابن دريد: هي حِرْفة الدَّلاّل، الذي كان يسمى قديمًا بالمبرطش، وقد عرف أبو حيان التوحيدي المبرطش بأنه دلاّل تُجاري[١٧]، ووفقًا لما ذكره صاحب "تاج العروس": أن المبرطش أهمله كل من الجوهري والصاغاني وصاحب اللسان، وإن كان قد عرفه هو بأنه الدّلاّل أو الساعي بين البائع والمشتري؛ وقد ورد في هذا الصدد أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان يعمل في الجاهلية مبرطشًا، حيث كان يكتري للناس الإبل والحمير، ويأخذ عليه جعلًا[١٨]، ونظرا لتواتر مصطلح الدلالة ومشتقاته في العديد من قواميس ومعاجم اللغة العربية القديمة وغيرها من المصادر التاريخية، مما يعني أن هذه المهنة كانت من المهن القديمة، التي عرفها العرب ومارسوها قبل ظهور الإسلام، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: من أين عرفوا هذه المهنة؟، وبالبحث توصل الباحث إلى أن مهنة الدلالة كانت من المهن الموغلة في عمق التاريخ، فقد عرفتها الحضارات اليونانية والرومانية القديمة، ولكنها كانت تُمارس آنذاك على سلع وبضائع أخرى غير الكتب، ففي روما القديمة على سبيل المثال كانت الدلالة بجميع أشكالها تسمى "أوكتيو" Oktao، وكان الدلاّل يُسمى "برابيكو" Braiecko، ونظرا لسيطرة الرومان على بلاد الشام، وانتقال العرب للتجارة هناك قبل ظهور الإسلام، فقد نقلوا معهم هذه المهنة إلى شبه الجزيرة العربية، وظلوا يمارسونها حتى ظهر الإسلام الذي لم يُحرمها بل أجازها، لكن بمُسمى آخر وهو بيع من يزيد أو البيع بالمزايدة أو المزاودة، وفقا لما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم باع حلسًا وقدحًا، وقال: من يشتري هذا الحلس والقدح؟، فقال رجل: أخذتها بدرهم، فقال: من يزيد على درهم؟، فأعطاه رجل درهمين، فباعهما منه"، وبالرغم من هذا فقد كره البعض البيع بالمزايدة وفقا أيضا للحديث النبوي الشريف: (لا يستام الرجل على سوم أخيه...)؛ غير أن الاستيام يختلف عن البيع بالمزايدة، فالاستيام يعني أن يقبل البائع بثمن

عرضه عليه مشتر ما، فيأتي مشتر آخر فيزيد عليه[١٩]، دون الحاجة لعقد حلقات الدلالة أو المزايدة، التي تعد عنصرًا أساسيًا في البيع بالمزايدة أو مهنة الدلالة، وقد ظل الناس يظلمون هذه المهنة، ويذمون نفاق الدّلاّل ورياء وساطته بين البيعين، ويستشهدون في ذلك بحديث لرسول الله الذي قال فيه: (أكذب أمتي الصواغون الصباغون وكذب الدّلاّل)، وقالوا كذلك: أن لكل شخص رأس مال ورأس مال الدّلاّل الكذب، وقالوا أيضا أن إبليس أول من مارس مهنة الدّلاّلة في التاريخ وفقا لقول الله تعالى: "فوسوس إليه الشيطان قال يا أدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى"[٢٠]، لذلك كره ابن سيرين مهنة الدّلاّلة، وكره كذلك قتادة أجرة الدّلاّل لقلة استغناءه عن الكذب، وإفراطه الزائد في الثناء على السلعة أيًا كانت الحالة التي عليها هذه السلعة بهدف ترويجها وبيعها بأعلى سعر، لذلك أورد الإمام الغزالي عند كلامه عن الحرف أو المهن المحمودة أن كبار الصحابة كانوا يكرهون حرفة الدّلاّل، لأن العمل فيها لا يتقدر[٢١]، ومن الأقوال المشهورة لهذا الظلم أيضا: أن الدّلاّل قاتل روحين (ويقصد بهما روح البائع وروح المشتري)، وقيل أيضا أن للدّلاّل عشرين وجهًا، وبالرغم من كثرة الانتقادات الموجهة لمهنة الدلالة، والتي كان أساس معظمها الدلالون أنفسهم، لكن هذا لم يقض عليها، ولم يمنع العرب من ممارستها، بل ظلت مستمرة، لأن الحاجة والظروف كانت تستدعي وجودها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل اتسعت دائرتها لتشمل الدلالة على سلع وبضائع كثيرة، كما كانت حلقاتها تشهد العديد من الطرائف، والتي منها على سبيل المثال: أن جحا أخذ حمارًا هزيلًا بطيئًا ليبيعه في السوق؛ فأعطاه للدّلاّل، الذي أخذ يقول: من يشتري حمارًا قوي البنيان سريع الخُطى، لاعيب فيه؟، ففكر جحا قليلًا وقال: والله لأشترينه، فأخذ يزايد مع المشترين حتى وقع عليه المزاد، فأعطى الدّلاّل الثمن، وعاد بحماره، وهو سعيد[٢٢].

ويستخلص الباحث مما سبق عرضه أن ثمة وجود اختلافات ظهرت في مهنة الدلالة من حضارة إلى أخرى وبخاصة فيما كان يُلقب به الدلال، ففي الوقت الذي كان يلقب فيه الدلال عند الرومان بيرابيكو Braiecko، كان يُلقب عند العرب في الجاهلية بالمبرطش أو الساعي، وبمرور الوقت أصبح يُلقب بالمنادي، لأنه كان

ينادي في حلقات البيع أو المزادات على السلع والبضائع لترويجها وبيعها، أما بالنسبة لما يتعلق بالانتقادات التي كانت موجهة لمهنة الدلالة، فقد تبين أن معظمها نشأ وتكون بسبب سلوكيات وتصرفات الدلالين أنفسهم.

٢/١- طبيعة عملية الدلالة ومواثيق افتتاحها:

أما بالنسبة لعملية الدلالة فعادة ما كان يُعلن عن بدءها أو افتتاحها؛ بأن يقوم الدلاّل، أو أمين الدلاّلين إن كانوا كُثر، بترديد ما يشبه ميثاق شرف، ومن بين مواثيق الشرف التي كان يتم إلقاءها في حلقات الدلاّلة في الأسواق قبل ظهور الإسلام، ذلك الميثاق الذي كان الدلال يقول فيه: "يا تُجار يا أرباب الأموال، ما كل مدورة جوزة، ولا كل مستطيلة موزة، ولا كل حمراء لحمة، ولا كل بيضاء شحمة، ولا كل صهباء خمرة، ولا كل سمراء تمرة؛ يا تُجار هذه الدرة اليتيمة، التي لا تفي الأموال لها بقيمة، بكم تفتحون باب الثمن؟، يا تُجار يا أرباب الأموال من يفتح باب السعر في هذه الجارية، سيدة الأقمار الدرة السنية، زمرد السنورية بغية الطالب ونزهة الراغب؟، فافتحوا الباب فليس على من فتحه لوم ولا عتاب"[٢٣]، أما بعد ظهور الإسلام فتغير مضمون ومحتوى مواثيق الشرف التي كانت تُلقى لافتتاح حلقات الدلالة، ولعل الميثاق التالي يوضح ذلك، والذي كان الدلال يقول فيه: «على الغني الكريم... على الموجود... على ما أعطى الله... البايع يربح... الشاري يربح... من صلى على النبي يربح... راه الدلال ما كا يضمن (لا يضمن)... ما كا يتخلص (لا يقبض)... واللي أمشي له شيء(من ضاعت منه حاجة) ربي كايخلف...»، وبعد إلقاء الدلاّل لمثل هذا الميثاق أو غيره، فيأخذ ممن يعرضون حاجاتهم للدلاّلة، وينتقل بها بين المشاركين في المزاد لمعاينتها، معلنًا السعر الذي بلغته، ويعود من حين لآخر إلى صاحب البضاعة لاستشارته فيما وصلت إليه بضاعته من سعر، فإما أن يقبل به أو يرفضه، وحسب أهمية سوق الدلاّلة، فقد يكون صغيرًا في حلقة واحدة وبدلاّل واحد، أو كبيرًا متفرعًا بعدة دلاّلين، فالكل يعرض بضائع وسلع مختلفة، وكان السوق بهذا الشكل هو السوق الأمثل بالنسبة للبائع، لذلك كان يُقال أن: "الدلاّل رامي والسوق حامي والشاري أعمى" (أي أن الدلاّل ماهر والطلب على السوق كبير والمشتري غير حاذق)، ومع تسلم البضاعة من البائع،

يأخذ الدلاّل مبلغًا رمزيًا يسمى "الفتوح"، كأتعاب لا يعيده، حتى وإن لم تبع البضاعة، وإن بيعت فإنه يأخذ عنها نسبة قد تتفاوت حسب أهمية السعر أو بالتراضي، وإذا كان الدلاّل يعمل في إطار مجموعة من الدلاّلين، تحت إمرة أمينهم، فغالبا ما يتم جمع كل ما حصلوا عليه، ويقومون بتوزيعه فيما بينهم بالتساوي بعد انتهاء السوق.

أما بعد انتشار الإسلام وما رافقه من انتشار للغة العربية، فقد تأثر بعض مصطلحاتها بثقافات وعادات الشعوب التي كان الإسلام ينتقل إليها، وقد كان مصطلح الدلالة من بين المصطلحات التي تأثرت بذلك، حيث اختلفت بعض المصطلحات المرتبطة بها من دولة عربية إلى أخرى وبخاصة فيما كان يتقضاه الدلال وما كان يُطلق عليه من مسميات وألقاب، فإذا كانت أجرة الدلاّل تُسمى في اللغة العربية الفصحى الدِّلالة بكسر الدال، لكنها كانت تُسمى في المغرب بالحُلْوان، ذلك المصطلح المشتق من مصطلح "الحَلاوة"، بينما كانت تُسمى في الإمارات العربية المتحدة "تكه"، أما مناداة الدلاّل على السلعة لترويجها وبيعها، فكانت تُسمى في المغرب "بالبريح"، ذلك المصطلح المأخوذ من المثل المغربي الذي يقول: "الموزونة لمباركة، والبريح لدلاّلها" (أي أن الجوهرة لصاحبتها المسماة امباركة والدلاّل لاينوبه إلا الصراخ)، لذلك كان يُطلق على الدلال في دول المغرب العربي براحًا، أما في اليمن فكانوا يسمونه فصالًا.

وبالانتقال إلى ممارسة مهنة الدلاّلة فكانت تتم داخل الأسواق أو خارجها، وكانت مهام الدلال تمتد في بعض الأحيان إلى الإعلان عن المفقودين والأشياء الضائعة أو المناسبات وغير ذلك، لكن مهنة الدلالة في المغرب تبقى حرفة مستقلة، حيث لاتزال تحيي فضاءات الدلاّلة في الأسواق التقليدية - وما تحويه من عبق الماضي العريق- في ذهن الزائر مشاهد متمازجة من التاريخ القديم، ومن أبرز الصور البديعة التي وردت متكررة عن مهنة الدلاّلة، تلك التي وردت في حكايات "ألف ليلة وليلة" وبخاصة المتعلقة منها بوصف أسواق الجواري، وبوصف الدلاّل، الذي كان ينتظر حتى يجتمع سائر التُجار ويزدحم السوق ويمتلئ بسائر أجناس الجواري، من تركية ورومية وشركسية وجرجية وحبشية[٢٤].

ويظهر مما سبق أن مضمون ومحتوى مواثيق شرف افتتاح حلقات الدلالة اختلفت قبل وبعد ظهور الإسلام، كما اختلفت أيضا حسب نوع البضاعة والسلعة المعروضة للبيع، لأن جميعها كان يشترط فيها أن تعبر بشكل كبير عن نوع البضاعة أو السلعة التي يتم الدلالة لها، كما كان هناك تباين فيما كان يُطلق على الدلال من دولة عربية إلى أخرى، فكان يُعرف بالمبرطش، أو الساعي، أو المنادي، أو البراح، أو الفصال، وقد امتد هذا التباين أيضا إلى ما كان يُطلق على ما يتقضاه من أجرة، فكانت تسمى الدّلالة، أو الفتوح، أو الحلوان، أو التكة.

٣/١- دلالة الكتب في العالم الإسلامي خلال العصرين الأموي والعباسي:

وإذا كان ما سبق هو عرض بسيط لما يتعلق بمهنة الدلالة بشكل عام، أما بالنسبة لدلالة الكتب فسوف يتناولها الباحث في ثلاث مناطق من الحضارة الإسلامية خلال العصرين الأموي والعباسي، وذلك حسب أسبقيتها في معرفة الورق وتصنيعه، وهي على النحو التالي:

١/٣/١- دلالة الكتب في دول المشرق العربي:

ويقصد الباحث بدول المشرق العربي تلك الدول التي تمتد من العراق شرقًا وحتى مصر غربًا، والتي مما لاشك فيه أن بعد معرفة المسلمين للورق وتصنيعهم له واستخدامه في صناعة الكتب في أواخر القرن الثاني الهجري، وولع المسلمون وشغفهم بجمعها واقتناءها، صارت الكتب من الجانب العلمي هو البوصلة الأكثر دلالة والأكثر طلبًا ورواجًا من قبل العلماء والطلاب في الحضارة الإسلامية، وصارت كذلك من الجانب التجاري والاقتصادي من أشهر السلعة التجارية عند العرب والمسلمين، الذين كانوا ينفقون عليها بسخاء، ويبذلون الغالي والنفيس في سبيل الحصول عليها، كل تلك الأمور جعلت تجارة الكتب عند العرب والمسلمين تشكل جانبًا هامًا من جوانب ازدهار الاقتصاد الإسلامي، لذلك كان باعة الكتب "وبخاصة الوراقين أصحاب الحوانيت والدكاكين" يلزمون المشتغلين عندهم من الوراقين الآخرين بهذه المهمة، بينما كان الدلاّلون هم الأعرف والأكثر دراية ببيع هذه الكتب وتقييمها وتسعيرها في حلقات كانت تقام خصيصًا لذلك، وهذا ما أكده ياقوت الحموي بقوله "قال لي الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي أنه

حضر معه أعني الفصيحي حلقة يُباع فيها الكتب، وأن الكتب كان يُنادى عليها بالمزوادة"[٢٥]، وتكشف المقولة السابقة عن ملامح كثيرة لمهنة دلالة الكتب من أنها عملية بيع الكتب كانت تُجرى داخل أسواق الوراقين على شكل "نداء علني" وفي حلقات تُقام خصيصا لذلك، وكان الدلال يقوم فيها بكل ما يتطلبه ذلك، فكان يأخذ موضعًا مرتفعًا في المكان الذي ينادي عليه، ويقوم بعرض الكتاب أمام جمهور الحاضرين، ثم يقرأ عنوان الكتاب ومؤلفه، وعدد صفحاته، ويقرأ بعض المقتطفات من فصوله، ويقدم كل ما هو أمتع وأجمل وأوقع في نفس السامع، بهدف زيادة الإقبال على الشراء، وأحيانا يُدخل عنصر الفكاهة في عملية النداء، كي يسترعى انتباه العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم، الذين يشتركون بالفرجة والجمهرة، ومن ثم تصبح عملية البيع بهذا الشكل أشبه ما تكون بالندوة الأدبية والفكرية؛ لأن كان هناك من يُعلق، وآخر يُصحح، وثالث يُقرظ، ورابع يُلحن، وخامس يُراجع، وكل الأعناق مشرئبة نحو الدلاّل، وعندما يزداد اللغط والهرج، ويحتدم التعليق والنقاش والجدال العلمي البناء، يفتح الدلاّل باب المزاد لشراء الكتاب، والدلاّل بهذه المهمة، كان قد قام بمزج آراء الناس كافة من علماء وأدباء وشعراء ونُقاد وزبائن عاديين، وقام كذلك بعمل دعاية جيدة للكتاب، واستشف من خلالها مدى الإقبال عليه، واستطاع كذلك أن يُخمن سعرًا جيدًا لهذا الكتاب أو ذاك[٢٦].

٢/٣/١- دلالة الكتب في دول المغرب العربي:

ويقصد بها الباحث الدول العربية التي تمتد من ليبيا شرقًا وحتى المغرب غربًا، والتي اختلفت فيها مهنة دلالة الكتب بعض الشيء عما كان موجود في دول المشرق العربي وبخاصة في تاريخ ظهورها، حيث لا يُعرف لها تاريخ محدد، وهذا ما أدى إلى تضارب الروايات حولها، فكان هناك من يقول إنها بدأت منذ عهد المرينيين، وهناك من يذكر إنها انطلقت منذ عهد المرابطين أمام الجامع الذي بنيت مكانه الكتبية، وانتقلت هذه العادة إلى أبواب كل المساجد بمراكش بعد صلاة العصر من كل جمعة، ولكن الثابت أن أول سوق لدلالة الكتب في دول المغرب العربي أقيم داخل ساحة مسجد ابن يوسف العتيق[٢٧]، حيث كان الناس يدخلون إلى بهو هذا المسجد الذي تخصص للدلالين لينظموا فيه حلقات دلالة الكتب كل جمعة بعد صلاة

العصر، وكانت عملية دلالة الكتب في هذا المسجد تنطلق بقراءة الفاتحة والدعاء للملك، من طرف أمين الدلاّلين، وبعد قراءة الفاتحة يبدأ الدلاّل ليحمل في يديه كتابًا من بين الكتب المعروضة للبيع، ويطوف به على الجالسين فوق الحصير أو الواقفين بمحاذاة الجدار ويقول: لقد حُدد الثمن الافتتاحي لهذا الكتاب بالثمن الفلاني، فهل من مزايد؟، فكتاب الأغاني لأبي فرج الأصبهاني، بكذا، فهل من مزايد؟، ويسلم الكتاب لمن يرغب في شرائه أو المزايدة عليه، حيث يضيف هذا درهمين ونصف أو ثلاثة، وهكذا دواليك إلى أن يرسو الثمن على آخر مزايد، وفي بعض الأحيان كانت المزايدة لاتصل إلى الثمن الذي يرغب فيه صاحب الكتاب، فإما أن يمتنع عن بيعه أو يقبل بما وصل إليه من سعر حسب ظروفه ومدى حاجته للمال، وأحيانا يقول الدلاّل: كتاب كذا (ما عطى الله)، وهذه العبارة كانت تعني أن هذا الكتاب ينقصه جزء أو أكثر وأحيانا تنقصه بعض الصفحات، وبالتالي فالراغب في الكتاب عندما يزايد يعرف مسبقًا أن الكتاب ناقص، ويحكي عن دلالة الكتب قديمًا أن بعض الدلالين كانوا يمسكون عن المزايدة في أي كتاب يزايد فيه تلميذ أو طالب علم، حتى لا يرتفع ثمنه ويعجز الطالب عن اقتنائه[٢٨].

٣/٣/١- مهنة دلالة الكتب في الأندلس (أي أسبانيا حاليا):

وكما هو معروف أن عملية دلالة الكتب بالنداء ظلت أسلوبًا معتادًا في أغلب الحواضر الإسلامية وأقاليمها خارج دار الخلافة العباسية، وبنفس الأساليب التي كانت سائدة في سوق الوراقين ببغداد، فكانت ثمة مظاهر مشتركة تمامًا في دلالة الكتب ظهرت في الأندلس أيضا، حيث كان يجرى بيع الكتب بالمزاد العلني أو النداء، حيث كان الناس يجلسون في حلقة ويعلن عن الكتاب بالنداء، فيتزايد عليه الناس واحد بعد الآخر، كما كان هناك دلالون ذوي خبرة في مجال تسعير الكتب وحسن عرضها والإعلان عنها وبيان مميزاتها وخصائصها، مما يساعد على إقبال الجمهور عليها بالشراء[٢٩]، وذكر المقري التلمساني مثالًا لذلك في قوله: "قال الحضرمي: أقمت مرة بقرطبة، ولازمت سوق كتبها مدة، أترقب فيها وقوع كتاب كان لي بطلبه اعتناء، إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير "تجليد" مليح، ففرحت به أشد الفرح، فجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إلي الدلال بالزيادة علي، إلى أن بلغ فوق

حده، فقلت له: يا هذا أرني من يزيد علي في هذا الكتاب، حتى بلغه إلى ما لا يساوي، فأراني شخصًا عليه لباس رياسة، فدنوت منه، وقلت له: أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته، لكن فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده، فقال لي: لست بفقيه ولا أدري ما فيه، ولكني أقمت خزانة كتب واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط، جيد التجليد، استحسنته، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثر، قال الحضرمي: فأحرجني، وحملني على أن قلت له: نعم لا يكون الرزق كثيرًا إلا عند مثلك، يعطي الجوز من لا عنده أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلًا، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه"(٣٠).

ويستخلص الباحث مما سبق أن ممارسة العرب والمسلمين لمهنة دلالة الكتب في أواخر القرن الثاني الهجري ارتبط ارتباطًا وثيقًا بظهور ما يُعرف بتجارة الكتب، وكانت ثمة مظاهر مشتركة في ممارستهم لهذه المهنة في جميع الحواضر الإسلامية وأقاليمها، وكان من أبرز هذه المظاهر الاعتماد على أسلوب النداء العلني في الدعاية والترويج للكتب بيعًا وشراءً، وإن كان هذا لم يمنع من وجود بعض ملامح الاختلاف في أسلوب ممارستها من مكان لآخر حسب طبيعة هذا المكان وطبيعة تواجد الحاضرين، حيث كانت تمارس في بعض الأماكن من الثبات، وفي أماكن أخرى كانت تمارس بأسلوب الطواف على جمهور الحاضرين.

<u>٤/٣/١ – مهنة دلالة الكتب في أوربا (ما عدا أسبانيا):</u>

لقد عرفت أوربا مزادات الكتب وبيعها عن طريق الدلالين بعد معرفة العرب والمسلمين لها بفترة طويلة وتحديدا منذ القرن السابع عشر الميلادي في هولندا، وانتقلت منها إلى بريطانيا فأمريكا ودول أخرى، وتعد أكبر صالتين لمزادات الكتب الآن هما: "سوذبي"، و"كرستز" ومقرهما الرئيسي في لندن، وغالبًا ما يتم عقدهما في شهري أبريل وأكتوبر من كل عام، ويحضر هذه المزادات كثير من المعنيين بالكتب والمخطوطات العربية والإسلامية في جميع أنحاء العالم(٣١)، وبالرغم من تأخر أوربا عن الدول العربية والإسلامية في معرفتها لمهنة دلالة الكتب، لكن هذه المهنة

استطاعت أن تستمر فيها، وأن ترقى دون أن تفنى، وأن تتطور وتتجدد دون أن تموت، وهذا على عكس ما أصابها في الدول العربية، وقد كان من أبرز ملامح هذا التطور، أن أصبحت مهنة الدلالة بشكل عام ودلالة الكتب بشكل خاص في أربعينات القرن الماضي نظرية رياضية معقدة، وبدأ تطبيقها في الاقتصاد والسياسة خلال السبعينيات منه، وصدحت البورصات وقاعات المزادات في أكبر عواصم العالم بأصوات الدلاّلين، وقد توج هذا كله بأن حصل عالم الاقتصاد الكندي "ويليام فيكري" على جائزة نوبل للاقتصاد عام ١٩٩٦م عن مجمل أعماله حول نظرية الدّلالة، التي تنقسم حسب أسلوب وطبيعة ممارستها وتنظيمها إلى نوعين أساسيين هما: الدّلالة القضائية (أو الإدارية)، والدّلالة الاختيارية، اللتان لابد من التفريق بينهما، فالدّلالة القضائية هي الدلالة التي تنظمها الجهات الحكومية والرسمية، أما الدّلالة الاختيارية فلها شكلان هما: الدّلالة المختصة، التي يقوم فيها الدّلاّل بالوساطة بين الصُناع والحرفيين من جهة، والتُجار من جهة أخرى، والشكل الثاني هو الدّلالة العامة التي تُقام في أماكن وأوقات معينة، كل يوم أو كل أسبوع، ليباع فيها البضائع والسلع عن طريق الدّلاّل[٣٢].

١/٣/٥- الواقع الحالي لدلالة الكتب في العالم العربي:

وإذا كان عهدنا قد أخذ يبتعد عن المظاهر التقليدية والفريدة لمهنة دلالة الكتب في الحضارة الإسلامية؛ لكنها لاتزال قائمة حتى الآن في العالم العربي بشكل أو بآخر، كما لا تزال مهنة الدّلاّلة - في شكلها التقليدي - تُمارس إلى الآن في العديد من المدن وعلى الكثير من السلع، كما لا تزال مهنة محتفظة في العمق بجوهر فكرتها البسيطة في العرض والطلب والوساطة فيما بينهما، وأصبحت كذلك هي كل آلية مهيكلة للمنافسة بغرض تحديد من سيحصل على الشيء المعروض للدلالة، وتحديد بأي ثمن سيحصل عليه، وقد واكب التحول الذي يشهده الاقتصاد العالمي بالانتقال إلى المعاملات التجارية الافتراضية ظهور وتطور نوع جديد من الدلالة عبر الإنترنت أو فيما يعرف الآن بالدلاّلة الافتراضية أو الإلكترونية، وقد لاقى هذا النوع من الدلاّلة نجاحًا باهرًا، ويزداد انتشارًا يومًا بعد يوم، حيث تُعرض فيها مختلف السلع والبضائع القديمة والحديثة على حد سواء، وتمكن كذلك كل من البائع

والمشتري من بيع وشراء سلعهم بطريقة بسيطة وسريعة وفعالة، وفي هذا الصدد ظهرت عدة مواقع على شبكة الإنترنت تخصصت في ذلك منها موقع "دلاّلة كوم".

ويتضح مما سبق أنه في ظل تأثر كل شيء بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الوقت الحالي، فقد تأثرت أيضا مهنة الدلالة بها بشكل عام ودلالة الكتب بشكل خاص، حتى أصبح يوجد الآن بجانب الدلالة التقليدية نوع جديد من الدلالة يُعرف بالدلالة الإلكترونية أو الافتراضية أو الرقمية، التي يمكن أن تكون أيضا دلالة اختيارية أو دلالة قضائية (إدارية)، لكن ما يعيب الدلالة الإلكترونية - بالرغم من بساطتها وفاعليتها وسرعتها - أنها تفتقد للاتصال والتواصل المباشر بين عناصر مهنة الدلالة التقليدية وبخاصة دلالة الكتب من دلالين وباعة ومشترين وجمهور مشارك، كما تفتقد أيضا للحس البشري الذي يُضفي لمسة خاصة عليها، أما بالنظر فيما تلقته مهنة الدلالة من انتقادات وتباين في الآراء، حيث كان هناك من يمدحها، وكان هناك أيضا من يذمها، وبالطبع لم يكن هذا بسبب كونها مهنة محرمة شرعًا بدليل أن الإسلام قد أجازها، كما كانت ولاتزال مهنة كأية مهنة يمكن أن يوجد بها الصالح والطالح، علاوة على أن معظم هذه الانتقادات قد يكون جائزًا أو صحيحًا في غالبيته وبخاصة عندما يتعلق الأمر بالدلالة لسلع وبضائع أخرى غير الكتب وقبل ظهور الإسلام، وكذلك عندما يتعلق الأمر بدلالين غير صادقين وغير أمناء، ولكن عندما يتعلق الأمر بدلالة الكتب فالوضع مختلف تمامًا، لأن دلالة الكتب ظهرت وازدهرت عند المسلمين في جو ومناخ إسلامي مفعم بالصدق والأمانة ومخافة عقاب الله، وخير دليل على ذلك مواثيق الشرف التي كان الدلالون يفتتحون بها حلقات دلالتهم، فكان معظم هذه المواثيق منبثقًا من مبادئ وقيم الدين الإسلامي، علاوة على اشتغال كثير من العلماء والأدباء وغيرهم فيها، وهؤلاء كان يشهد لمعظمهم بالصدق والأمانة، وإن كان هذا لم يمنع من وجود قلة من الدلالين الذين خالفوا مبدأ الصدق والأمانة في ممارستهم لدلالة الكتب، وهذا ما سيتضح فيما بعد، ولكن قبل معرفة ذلك، يجب التعرف على عوامل ازدهار دلالة الكتب في الحضارة الإسلامية، والمتمثلة فيما يلي:

٢/١- عوامل ازدهار مهنة دلالة الكتب في العصرين الأموي والعباسي:

عرفت الصين صناعة الورق على يد تساي لون في عام ١٠٥م[٣٣]، والذي كان يُصنع آنذاك من عجينة من الحرير والكتان وبعض المواد الأخرى، وعندما فتح المسلمون سمرقند في عام ٧١٢م وجدوا فيها الورق (الذي كان يعرف آنذاك بالكاغد)[٣٤]، لكنهم لم ينتبهوا لأهميته أول الأمر، واعتبروه شيئاً عادياً، إلّا أنهم بعد فترة أحسوا بقيمته وأهميته، وهذا ما دفعهم لتعلم صناعته ونقلوها إلى بغداد، حيث تأسس أول مصنع للورق فيها عام ٧٩٤م، وقد تركزت صناعته في محلة كبيرة في بغداد اسمها دار القز، وبعد ذلك انتشرت صناعة الورق في باقي الديار الإسلامية، حيث تأسس أول مصنع للورق في مصر عام ٨٠٠م، كما تأسس أول مصنع للورق في الأندلس عام ٩٥٠م في مدينة شاطبة، وكانت تصدره إلى أوروبا، وكانت مصانع الورق الأندلسية تنتج جميع أنواعه بما فيها الأبيض والملون[٣٥]، وقد ساعد تعدد مصانع الورق وانتشارها في البلاد العربية والإسلامية إلى رخص سعر الورق، وانتشاره بين أيدي العلماء والأدباء القادرين منهم وغير القادرين على شرائه، مما أدى إلى زيادة الإنتاج الفكري العربي، والذي كانت نتيجته أن انتشرت تجارة الكتب في جميع البلاد العربية والإسلامية، وظهور حركة الترجمة، واتساع نطاقها، وتشجيع الخلفاء والأمراء لها، وانتشار المجالس العلمية، ومجالس الإملاء، وتشجيع الخلفاء والأمراء للعلم وعلماءه وطلابه؛ مما أدى إلى تزايد النشاط العلمي في مختلف فنون المعرفة البشرية آنذاك، وبذلك تتلخص عوامل ظهور مهنة دلالة الكتب وازدهارها في الحضارة الإسلامية فيما يلي:

١) اتساع نطاق صناعة الورق في البلاد الإسلامية ورخص أسعاره.
٢) ظهور حركة الترجمة، واتساع نطاقها وتشجيع الخلفاء والأمراء لها.
٣) انتشار المجالس العلمية والمناظرات، ومجالس الإملاء.
٤) تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم وعلماءه وطلابه.
٥) تزايد النشاط العلمي في مختلف فنون المعرفة البشرية.
٦) تطور وازدهار تجارة الكتب وانتشار أسواقها في جميع البلاد الإسلامية.

٧) ممارسة مشاهير العلماء والأدباء والشعراء ورجال الفكر والدين وغيرهم لدلالة الكتب، الأمر الذي أكسبها قيمة ومكانة مرموقة، وأصبحت لا تقل شأنا وأهمية عن غيرها من المهن الأخرى المرتبطة بالكتب والمكتبات.

٨) كانت حلقات دلالة الكتب بمثابة قناة جيدة من قنوات الاتصال العلمي والتواصل مع كبار العلماء ومحبي الكتب وتداول المعلومات والإفادة منها، ووسيلة هامة لإقامة علاقات اجتماعية جيدة بأرقى فئات المجتمع آنذاك.

١/٤- دلاّل الكتب: وظائفه ومهامه:

كان لانتشار الكتب في جميع ربوع الدول الإسلامية أكبر الأثر في ظهور تجارة الكتب وازدهارها، وارتباط الكثير من الأشخاص بها، حتى اشتهروا بشهرتها، لدرجة أن صار بعضهم يُكنى بها، وقد كان من بين هؤلاء دلاّلو الكتب، الذين قال عنهم السبكي أن: "الدلاّلين، ومنهم دلاّل الكتب، الذي من حقه ألا يبيع كتب دين ممن يعلم أنه يضيعها، أو ينظرها لانتقادها والطعن عليها، وألا يبيع شيئًا من كتب أهل البدع والأهواء، وكتب المنجمين، والكتب المكذوبة، كسيرة عنترة وغيره، ولا يحل له أن يبيع لكافر المصحف، ولا شيئًا من كتب الدين والفقه"[٣٦]، كما كان لدلاّلي الكتب دور بارز في أسواق الوراقين، فبجانب متاجرتهم للكتب بيعًا وشراءً كانوا يعدون وسيلة رئيسة في الدعاية والترويج لها، وبخاصة تلك التي كانوا يحصلون عليها من التركات، أو من المفلسين، ومن يقومون بالدلالة عليها لتباع بأعلى سعر للراغبين في شرائها[٣٧].

ونظرا لكثرة تعامل الدلاّلين مع الكتب، فكانوا الأجدر بمعرفة الغث والثمين منها؛ وهذا ما أكسبهم خبرة في تقييم الكتب وتسعيرها، لهذا كان هواة الكتب – من الأمراء والأغنياء وغيرهم – يراجعونهم في اختيار الكتب واقتناءها، وهم يجلبون لهم ما أرادوا، حتى ولو كان من البلاد البعيدة، ومما يذكر في هذا الصدد أن أرغون الدوادار كان مولعًا بجمع الكتب، لذلك كان ينتدب دلاّلي الكتب ليقتنوا له الكتب النفيسة من البلدان المختلفة، فقد أرسل مرة إلى مصر ألفيْ دينارًا مع دلال لشراء كتب من تركة قجلس الناصري[٣٨]، ويُفهم مما سبق أن بعض دلالي الكتب كانوا يقومون بدور وكلاء أو مندوبين لأشخاص آخرين لشراء الكتب من أماكن بعيدة،

لأنهم كانوا الأجدر والأكثر دراية بكل ما هو غث وثمين من الكتب، علاوة على تمتعهم بخبرة في تقييم الكتب وتسعيرها.

كما لايمكن إغفال ما للمصادفة من دور بارز في عملية تلّالة الكتب، وإن كانت تتوقف على الحاذق من الدلالين في معرفة أهمية الكتب ومضمونها، وينقل البيهقي في هذا الصدد خبرًا مفاده أن ابن سينا كان قبل شهرته في سوق الوراقين، عرض عليه أحد الدلاّلين كتابًا كان ينادي عليه فرده – أبو علي بن سينا – ردًا متبرمًا، معتقدًا أن لا فائدة منه، فقال له الدلاّل: اشتر مني هذا الكتاب، فإنه رخيص، بثلاثة دراهم وصاحبه محتاج إلى ثمنه، فاشتراه، فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي الفيلسوف – المعروف بالمعلم الثاني – في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة، قال ابن سينا: فرجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب، بسبب أنه كان لي محفوظًا، ففرحت بذلك وتصدقت بشيء كثير على الفقراء[٣٩]، ولعل أبرز نتيجة يمكن الخروج بها مما سبق هي أن بعض الدلالين كانوا يراعون ظروف بعض أصحاب الكتب ومدى حاجتهم للمال، كما لم تقتصر مهمة دلالي الكتب في حلقات الدلالة على مجرد المتاجرة في الكتب بالبيع والشراء، بل امتدت في بعض الأحيان إلى أن يكونوا شهودًا على بعض عقود بيع الكتب، التي كانت تُوقع في حلقات الدلالة، ومن بين الأمثلة على ذلك فقد شهد محمد محب الدين بن أحمد الحمصي الدلال بسوق الوراقين على بيع أحد التملكات التي ورد فيها: انتقل هذا الجزء المبارك والذي قبله .. من الشيخ شمس الدين بن الحاج أحمد حميدة نزيل دمشق بمدرسة الصابوني إلى ملك عبد الله بن محمد العجلوني من سوق الكلاسة المباركة بثمن للجزأين مبلغه ستون درهمًا عثمانية بتاريخها الجمعة المباركة ثاني عشرين ذي الحجة الحرام سنة ٩٤٦هـ[٤٠]:

الشهود

محمد محب الدين بن أحمد الحمصي
الدلال بسوق الوراقين
توقيع

محمد إسماعيل العجلوني
توقيع

وبالرغم من أهمية ما كان يقوم به الدلاّلون في عملية بيع الكتب وشراءها في حلقات الدلالة، لكن هذا لم يمنع من وجود بعض الدلاّلين الذين كانوا يخالفون أصول مهنة دلالة الكتب ومبادئها؛ فنظرا لأن الكتب كانت تُعرض عليهم أولا، فكان بعضهم يقوم بإخفاء النادرة منها، بهدف الحصول عليها، ويختارون ما يشاءون منها لأنفسهم، ويعرضون الآخر للبيع، ومن أبرز ما حدث في هذا الأمر ما نقله ياقوت الحموي من: أن أبا سعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق، قد وقع على أهم كتب الطبري، وهو كتاب "أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة"، أملى منه الطبري حوالي خمسمائة ورقة بما يعادل "أربعة أجزاء"، ولم يخرجها للناس في الإملاء، وخرج بها الدينوري الوراق إلى الشام وانتفع بها[٤١]، ويظهر مما سبق أن أبا سعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق كان وراقًا ودلالًا للكتب في آن واحد، ولم يقف أمر مخالفة دلالي الكتب لمبادئ مهنتهم عند ما سبق ذكره، بل امتد إلى وقوع بعضهم للاستغلال من قبل الآخرين داخل أسواق الوراقين للكيد والتشهير ببعض الأعلام، ومن نماذج ذلك أن محمد بن حسن بن علي الشمس النواجي القاهري (توفي سنة ٨٥٩هـ) كان شاعرًا وأديبًا ومرموقًا وعالمًا باللغة، وحسن الخط، وجيد الضبط ومتقن الفوائد فيما يقيده، أو يفيده بخطه، كتب لنفسه الكثير وكذا لغيره بالأجرة، لكنه كان سيء الخُلق، عُرف بتحامله على ابن حجة الحموي، حتى إنه ألف كتابًا أسماه "الحجة في سرقات ابن حجة" ملأه بأباطيل مثل عزو بعض شعره إلى سابقيه، وقد جوزى على ذلك بعد دهر، وصنف شاعر آخر كتابًا سماه "قبح الأهاجي في النواجي"، وأمر بدفعه لدلال بسوق الكتب، وهو جالس كعادته عند بعض التجار، فدار به الدلال على أرباب الحوانيت، حتى وصل إليه، فأخذه وتأمله، وعلم مضمونه، ثم أعاده إلى الدلال، وحينئذ استرجع من الدلال، فكاد النواجي يهلك[٤٢]، كما كان هناك دلاّلو كتب يتبعون أحيانا طرق الحيلة ليحصلوا على الكتب بأثمان قليلة، وقد كان لعماد الدين الأصفهاني في هذا الأمر حيلة دلاّل الكتب لبيع كتب مكتبة قصر الخلافة الفاطمية، وكذلك عبد الله بن أحمد بن الخشاب الذي كان يحضر سوق الوراقين، وإذا أراد شراء كتاب، فيقوم بقطع ورقة منه ويقول: «إنه مقطوع»، ليأخذه بثمن بخس[٤٣].

وبذلك يرى الباحث أن دلال الكتب هو كل دلال تجاري تختص مهمته في المتاجرة في الكتب عن طريق البيع والشراء، والمناداة عليه في حلقات تقام خصيصا لهذا الغرض بهدف الدعاية والترويج لها والإعلان عنها لجذب أكبر عدد من الناس، كما كان دوره يمتد إلى إبراز مزايا وخصائص كل كتاب وعيوبه، بالإضافة إلى ضرورة تمتعه بخبرة في تقييم الكتب وتسعيرها، ويتم كل ذلك في ضوء مجموعة من الآداب والسلوكيات والأخلاق، التي تتلخص في ضرورة تأكد الدلال وتثبته من شخصية الذي سيشتري الكتاب ومدى أمانته، كما يجب عليه فحص الكتب وتقييمها قبل بيعها، وفي المقابل كان يحظر عليه الدلالة على الكتب المخالفة للدين والفقه، وأن يتمتع بخبرة في تقييم الكتب وتسعيرها.

وفي ظل هذا التعريف وما مرت به مهنة دلالة الكتب في الحضارة الإسلامية، فقد شهدت هذه المهنة كغيرها من المهن فئتين من الممارسين لها، الفئة الأولى اتصفت بالصدق والأمانة، ومراعة ظروف المشترين والبائعين، والتمسك بآداب وسلوكيات وأخلاق مهنة الدلالة ومواثيق شرفها، أما الفئة الأخرى فكانت تضم بعض الدلالين أصحاب النفوس الضعيفة الذين كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية أكثر من أي شيء آخر، وبالرغم من أهمية ما كان يقوم به الدلال في حلقات دلالة الكتب، لكن يبقى دوره في تقييم الكتب وتسعيرها يعد الأهم والأبرز، ذلك الأمر الذي كانت تسانده أيضا بعض العناصر الأخرى، وهذا ما يتناوله العنصر التالي:

١/٥- دور الدلال في تقييم الكتب وتسعيرها أثناء انعقاد حلقات الدلالة:

كان باعة الكتب "وبخاصة الوراقين أصحاب الدكاكين أو الحوانيت" يلزمون المشتغلين عندهم من الوراقين الآخرين بتجارة الكتب وغيرها من أدوات الكتابة، أما الدلالون فكانوا هم الأعرف والأكثر دراية ببيع هذه الكتب وتقييمها وتسعيرها في الحلقات التي كانت تقام خصيصًا لذلك، حيث كانت الكتب يُنادى عليها بالمزوادة"[٤٤]، وكان الدلال يأخذ موضعًا مرتفعًا في المكان الذي ينادي عليه، ويقوم بعرض الكتاب أمام جمهور الحاضرين، ثم يقرأ عنوان الكتاب ومؤلفه، وعدد صفحاته، ويقرأ بعض المقتطفات من فصوله، ويقدم ما هو أمتع وأجمل وأوقع في

نفس السامع، بهدف زيادة الإقبال على الشراء، وأحيانا يُدخل عنصر الفكاهة في عملية النداء، كي يسترعى انتباه العلماء والأدباء، الذين يشتركون بالفرجة والجمهرة، ومن ثم تصبح عملية البيع بهذا الشكل أشبه ما تكون بالندوة الأدبية والفكرية، فكان يتخللها من يُعلق، وآخر يُصحح، وثالث يُقرظ، ورابع يُلحن، وخامس يُراجع، وكل الأعناق مشرئبة نحو الدلاّل، وعندما يزداد اللغط والهرج، يفتح الدلاّل باب المزاد لشراء الكتاب، والدلاّل بهذه المهمة، كان قد قام بمزج آراء الناس كافة من علماء وأدباء ونُقاد وزبائن عاديين، وقام كذلك بعمل دعاية جيدة للكتاب، واستشف من خلالها مدى الإقبال عليه، واستطاع أن يُخمن سعرًا جيدًا لهذا الكتاب أو ذاك، وإضافة إلى ما كان يقوم به دلّال الكتب من دور في تقييم الكتب وتسعيرها في حلقات الدلالة، فكان لاسم مؤلف الكتاب ومدى شهرته دور بارز أيضا في عملية النداء، وفي تقييم الكتب وتسعيرها، وثمة نادرة طريفة في هذا السياق يوردها السيوطي في ترجمة محمد بن محمد ابن عبد الرحمن ابن القوبع[٤٥]، يقول ابن سيد الناس: لما قدم – القوبعي– قعد في سوق الكتب، والشيخ بهاء الدين بن النحاس هناك، ومع الدلاّل ديوان ابن هاني، فنظر فيه ابن القوبع فترنم بقوله – يقصد بقول ابن هاني[٤٦]:

فتكات لحظك أم سيوف أبيك وكؤوس خمرك أم مراشف فيك

فقرأ بالنصب في الجميع، فقال له ابن النحاس: يا مولانا، هذا نصب كبير، فقال له بنترة: أنا أعرف الذي تريد من رفعها، على أنها أخبار لمبتدآت مقدرة، والذي أنا ذهبت إليه أغزل وأمدح، وتقديره أقاسي فتكات لحظكن فقال له: يا مولانا، فلما لا تتصدر وتشغل الناس؟، فقال: وأيش هو النجو في الدنيا حتى يذكر[٤٧]، وباستخدام أسلوب النداء من قبل دلاّلي الكتب فقد بيعت كثيرًا من الكتب، حيث أُخرجت مسودة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني إلى سوق الوراقين، وبيعت في النداء بأربعة آلاف درهم، وإن أكثرها في ظهور وبخط التعليق – الفاسي – وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفص، قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: فأنفذت إلى "ابن قرابة" – ربما كان الدلاّل الذي باعها – وسألته إنفاذ صاحبها ليبتاعها، فأعلمني

أنها بيعت، وأرسلت إلى ابن حفص، فأنكر أنه يعرف شيئًا من هذا، فبحثت كل البحث فما قدرت عليها[٤٨].

ولم يقتصر أمر تقدير سعر الكتاب على خبرة الدلال في تقييم الكتب وتسعيرها وكذلك اسم المؤلف ومدى شهرته فقط، بل كان لنوع الخط ومدى جودته وإتقانه وجماله أيضا مساحة في تقييم الكتب وتسعيرها في حلقات الدلالة، وفي هذا يقول القفطي: "كنت أحضر حلق (أي حلقات) الكتب عند بيعها، فإذا قال الدلّال: كتاب بخط النجيرمي، رفعت نحوه الأعناق"[٤٩]، وذلك لأن خط النجيرمي كان يُعرف بوضوحه وجودته وضبطه واتقانه، ومن بين الوقائع التي كان لنوع الخط دور في تفاوت أسعار الكتب، ما ذكره ابن الفوطي من أن أحمد بن أبي السعود الرصافي الكاتب في مطلع القرن السابع الهجري، كان يكتب خطًا مليحًا على طريقة ابن البواب – وكان معجبًا بخطه – فكتب كتابًا عنوانه "نهج البلاغة" ونادى عليه، فدفع فيه خمسة دنانير، فلم يبعه، ثم نودى في الحال على قوائم بخط ابن البواب بخمسة عشر دينارًا، فاستشاط غضبًا وقال: يُدفع في نهج البلاغة بخطي خمسة دنانير، ويُدفع في قوائم بخط ابن البواب خمسة عشر دينارًا، وليس بين الخطين فرق كبير، ولاسيما هذا التفاوت"[٥٠]، ويظهر مما سبق أن بعض مؤلفي الكتب كانت تضطرهم الظروف أحيانا إلى الدلالة لكتبهم بأنفسهم، إما لثقة في إنتاجهم الفكري من جانب، أو رغبة منهم في الحصول على ثمن الكتب دون الدفع للدلالين.

كما كان لندرة الكتب ومدى الاهتمام بها وبخاصة من ناحية الإخراج المادي دور هام أيضا في تقييم الكتب وتسعيرها، فقد كانت الكتب النادرة والمجلدة والمزخرفة والمحلاّة بالذهب والفضة تُباع في حلقات الدلاّلة بأثمان مرتفعة، وبالطبع مثل هذه الكتب كان لا يشتريها إلا من شغف من الملوك والأمراء والوزراء والأثرياء والمولعين بجمع الكتب ويستطيعون شراءها، وهذا ما حدث مع مصحف عثمان بن عفان المكتوب بالخط الكوفي الذي اشتراه القاضي الفاضل بنيف وثلاثين دينارًا، وكذلك النسخة الرائقة المليحة الخط والتصوير من كتاب "صور الأقاليم للبلخي" التي كان يمتلكها ياقوت الحموي واشتراها منه في حلب الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، وفسر الزجاجي جداول كتاب جامع النطق لابن أبي عباد وكتبها

بخط الترمذي الصغير وجلدها وحملها إلى الخليفة المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠١م) فأستحسنها وأمر له بثلاثمائة دينارًا، وكان ابن الحسن بن الهيثم أبو علي ينسخ في مصر كل سنة ثلاثة كتب هي أقليدس والمتوسطات والمجسطي ويبيعها بمائة وخمسين دينارًا، ويجعلها مؤنته لسنته، واستمر على هذا الحال حتى توفي في القاهرة في حدود سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٨م[٥١]، كما لايمكن إغفال ما للمكان - الذي تقام فيه حلقات دلالة الكتب - من دور بارز أيضا في ارتفاع أثمان الكتب وزيادة الإقبال عليها، فقد كانت المدن الكبيرة كبغداد والبصرة والفسطاط والقيروان وقرطبة تستقطب كبار تُجار الكتب أكثر من المدن الصغيرة وذلك لكثرة المكتبات العامة والخاصة بها وولع أصحابها بالكتب والرغبة في الحصول على كل ما هو نادر ونفيس منها، كما كانت تستقطب كبار العلماء والأدباء وغيرهم، لهذا كان الوراقون ينقلون الكتب المشهورة إلى المدن الكبيرة ويبيعونها عن طريق الدلّالين بأسعار مرتفعة، مثلما حدث مع كتاب العين للخليل بن أحمد الذي جاء به وراق من خراسان وباعه في سوق الوراقين عن طريق الدلّالين في البصرة بخمسين دينارًا، وكذلك اشترى القاضي أبي بكر ابن بُدَيل التبريزي من أبي الحسن الفالي نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد وحملها إلى تبريز ونسخت منها نسخ أخرى، وحُمل كتاب حلية الأولياء للصوفي العالم أحمد بن عبد الله المهراني الأصبهاني من أصفهان إلى نيسابور، وباعه عن طريق الدلالة بأربعمائة دينارًا[٥٢]، كما كانت نسبة الكتاب إلى شخص عظيم كخليفة، أو وزير، أو أمير، أو حاكم، أو عالم ...إلخ لها دور أيضا في زيادة قيمة الكتاب وسعره في حلقات الدلّالين، وفي هذا ذكر المقريزي أنه عندما دخل الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، حمل أبو جعفر مسلم المصحف الكبير الذي يذكر أنه كان ليحيى بن خالد بن برمك وكان شراؤه أربعمائة دينارًا على مسلم فلما رآه المعز قال: أراك معجبًا به وهو يستحق الإعجاب[٥٣].

ومن الأمور التي يجب التنويه عنها وكانت ذات تأثير كبير أيضا على تقييم الكتب وتسعيرها في حلقات الدلالة، وهي أن عدم الأمانة لم يكن قاصرًا على بعض دلّالي الكتب فقط، بل امتدت أيضا إلى المشترين أنفسهم، فكان هناك بعض المشترين يقومون في غفلة من الناس وغفلة من الدلالين أيضا بإخفاء عنوان الكتاب واسم

مؤلفه ليأخذه من الدلال بثمن قليل، وقد أورد ياقوت الحموي مثالا لذلك حينما ذكر: أن عبد الله بن أحمد بن الخشاب البغدادي الحنبلي المتوفي (٥٦٧هـ) كان إذا حضر سوق الوراقين وأراد شراء كتاب، غافل الناس والدلالين وقطع منه ورقة، وقال: إنه مقطوع، ليأخذه بثمن بخس، وإذا استعار من أحد كتابًا، وطالبه به، قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه[٥٤]، ونظرا لوجود مثل هذه الظواهر السلبية من قبل بعض الدلالين وبعض المشترين، وكذلك لأن الإنفاق بسخاء على الكتب في الحضارة الإسلامية كانت عادة اعتاد عليها العرب والمسلمون آنذاك، لأن هذا في نظرهم كان خير دليل على شرف النفس وعلى سلامتها، فكانت حلقات دلالة الكتب تخضع لرقابة سلطات الدول الإسلامية، التي اهتمت اهتمامًا كبيرًا بمراقبة تجارة الكتب والإشراف على حوانيت الوراقين وحلقات الدلالين، وقد أوكلت مهمة الإشراف على حوانيت الكتب وعلى تُجارها ودلاليها إلى المحتسب للتدخل المباشر وفرض العقوبات في حالة حدوث تدليس، أو غش، أو عند الخروج عن القواعد المتبعة في أسواق الوراقين وحلقات الدلالة[٥٥].

ويستنتج الباحث مما سبق اشتراك العديد من العناصر في تقييم الكتب وتسعيرها في حلقات الدلالة، وقد كان على رأس هذه العناصر الدلال ومدى خبرته وقدرته على التمييز بين ما هو ثمين وغث من الكتب، علاوة على مدى براعته في الدعاية والترويج والإعلان عن الكتب المعروضة للبيع، وقدرته في اظهار خصائصها ومميزاتها وأحيانا عيوبها، بهدف جذب أكبر عدد من الناس وترغيبهم في شرائها، ولم يقف هذا الأمر عند ذلك الحد، بل كان هناك دور أيضا لبعض العناصر المتعلقة بالكتاب ذاته كاسم المؤلف ومدى شهرته وعنوان الكتاب وموضوعه ونوع الخط المكتوب به ومدى جودته وجماله واتقانه، ومدى جودة إخراجه المادي، هذا بالإضافة إلى المكان الذي كانت تقام فيها حلقات الدلالة للكتب ومدى شهرته.

٦/١- مصادر حصول الدلاّلين على الكتب في العصرين الأموي والعباسي:

من بين ما تميزت به الحضارة الإسلامية في أوج فترات ازدهارها فقد امتازت بتنوع الكتب وزيادة إنتاجها والإقبال عليها، وبذل الغالي والنفيس في سبيل الحصول عليها واقتناءها وجمعها، وهذه كانت عادة اعتاد عليها العرب والمسلمون،

وهذا ما جعل من الكتب سلعة تجارية واقتصادية هامة في تاريخ هذه الحضارة الإسلامية، وجذبت إليها الكثير من المشاهير من مختلف الفئات والمجالات للمتاجرة فيها وفي كل مايتعلق بها من أدوات الكتابة وأقلامها وأحبارها، وهذا ما أفسح المجال لتنوع مصادر حصول الدلاّلين عليها، وقد ساهمت مثل هذه المصادر في زيادة المعروض من الكتب في أسواق الوراقين وحوانيتهم والمزادات وحلقات الدلالة، وقد كان من أبرز هذه المصادر ما يلي:

١/٦/١- بيع تركات العلماء بعد موتهم:

وبالنسبة لهذا المصدر فمما لاشك فيه أن الحضارة الإسلامية اتسمت منذ معرفتها للورق وتصنيعها له وممارستها للتدوين بإقبال العلماء والأعيان على اقتناء الكتب لصلتهم القوية بالكتاب، إذ كانوا يبذلون الغالي والنفيس في سبيل جمعه واقتنائه، وقد كان من الأمور التي أسهمت في خلق فرص أمام تُجار الكتب لشراء النادر والنفيس من المصنفات المشهوزة وفاة أحد هواة جمع الكتب من هؤلاء العلماء والأدباء من أصحاب المكتبات الخاصة وممن ليس له ورثة أو له ورثة، ولاسيما إذا كان الورثة ممن ليس لهم علاقة بالعلم، أو أنهم من القصر (الصغار)، أو أنهم من الفقراء، فيقبلون على بيع الكتب التي تحوي خلاصة عقول أسلافهم، إما لعدم إدراك بعضهم لقيمة ما لديهم من كتب، وما تحويه من ثروة علمية، وإما لرغبة منهم في التخلص منها، وإما طمعًا منهم في الحصول على أعلى سعر لها، ولهذه الأسباب كانت الكتب تؤول إلى حوانيت الوراقين، أو مزادات الكتب، أو أيدي الدلاّلين[٥٦]، ومن أبرز الوقائع المتعلقة بذلك المصدر، أن أبي العباس ثعلب الشيباني خلف كتبًا جليلة عرضت للبيع في مزاد، وبيعت بأقل من ثلاثمائة دينارًا، واشترى كذلك الجاحظ كتاب سيبويه من ميراث الفراء وأهداه إلى محمد بن عبد الملك الزيات، وعُرضت أيضا كتب الأديب والكاتب الأندلسي محمد بن يحيى الغافقي المعروف بابن الموصل للبيع في مزاد لبيع الكتب في مدينة قرطبة فاستقطبت عدداً كبيراً من هواة جمع الكتب ومن تجارها وبولغ في أثمانها، وأكد ابن الأبار ذلك بقوله: "وأغلي فيها حتى لقومت الورقة في بعضها بربع مثقال"، وذكر ياقوت الحموي أن الكتب

كانت تباع في حلقات، واشترى منها العالم النحوي عبد الله بن السيد البطليوسي كتبًا بمائتي دينارًا[٥٧].

٢/٦/١- سرقة الكتب ونهبها:

أما بالنسبة لهذا المصدر وبالرغم من تناقضه مع مبادئ الدين الإسلامي وقيمه وتعاليمه، وكذلك مع مبادئ وقيم مهنة دلالة الكتب تحديدًا وبخاصة في الحضارة الإسلامية، والتي وضعها معظم دلالي الكتب لأنفسهم ولمهنتهم، لكن تبقى سرقة الكتب ونهبها إحدى القنوات الهامة التي كان يتم عن طريقها تزويد الدلاّلين وغيرهم بالكتب، وقد تضافرت عوامل كثيرة أدت إلى وجود مثل هذا المصدر أو هذه الظاهرة، وقد كان بالطبع على رأس هذه العوامل انتشار الفتن والاضطرابات بين المسلمين، حيث أدت الفتن الداخلية والقلاقل والتغييرات السياسية في بعض الدول الإسلامية إلى قيام الجهلة من عامة الناس، وذوي النفوس الضعيفة بنهب كثير من كتب المكتبات وسلبها، إذ كان عامة الناس يستغلون مثل تلك الأوضاع والظروف، فيهرعون إلى مكتبات المساجد، والمكتبات العامة والخاصة، وينهبون منها ما يقدرون على حمله من مقتنياتها، ثم يبيعونها بأبخس الأثمان عن طريق دلاّلي الكتب[٥٨].

ولعل أبرز واقعة متعلقة بهذا المصدر ما تعرضت له مكتبات الخلفاء الفاطميين بالقاهرة من نهب وسلب بسبب الفتن والثورات التي حدثت من عام ٤٢٦هـ وحتى عام ٤٨٧هـ، فبعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على مصر، تمكن بعض أفراد حاشيته من الاستيلاء على نفائس كتب مكتبة القصر التي أسسها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وعلى رأسهم القاضي الفاضل، أما مصير بقية كتبها فقد أشار البنداري إليه بقوله: "كان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان، وهي تباع بالمجان وبأرخص الأثمان، فقيل للأمير بهاء الدين قرقوش، متولي القصر، والحال والعائد للأمر: هذه الكتب قد عاث فيها الغث، وتساوى سمينها وغثها، ولا غنى عن تهويتها ونفضها وإخراجها من بيوت الخزانة إلى أرضها، (وهو تركي لا خبرة له بالكتب، ولم يدر أن في نفضها انفاضها، وأن في تصحيحها إمراضها)، وكان مقصد دلاّلي الكتب أن يوكسوها ويخرموها ويعكسوها، فأخرجت - وهي أكثر من مئة ألف

– من أماكنها وغربت من مساكنها، وكان فيها من كتب الأمصار والتواريخ الكبار ما يشمل كل كتاب على خمسين أو ستين مجلداً، إذا فقد منها جزء لا يخلف أبدا، فاختلطت واختبطت، فكان الدلاّل يخرج عشرة عشرة من كل فن كتبًا مبتسرًا، فتسام بالدون، وتباع بالهون، والدلاّل يعرف كل شدة وما فيها من عدة ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها، وقد شارك غيره في ابتياعها، حتى إذا لفق كتبا قد تُسعر عليه بعشرة باعه بعد ذلك لنفسه بمائة"[٥٩].

٣/٦/١- فقر العلماء وحاجتهم للمال:

هناك ملاحظة جديرة بالعناية بالنسبة لهذا المصدر، لأنها ذات جذور تاريخية ممتدة منذ القرون الهجرية الأولى وحتى الآن، وتتمثل هذه الملاحظة في أن أغلب رجال الفكر والأدب والعلم، والشغوفين بالقراءة وحب المطالعة وشراء الكتب، هم أكثر الناس عوزًا وفقرًا، لذا يلجأون إلى بيع كتبهم، التي أنفقوا الكثير من المال في سبيل تجميعها على مدى سنين طوال نتيجة لفقر يصيبهم، أو مصيبة تحل بهم، أو دين يقومون بتسديده، وبطبيعة الحال كان هؤلاء العلماء يبيعون كتبهم في حوانيت الوراقين، أو يتم عرضها في المزادات عن طريق دلاّلي الكتب أو في حلقات دلالتهم، التي كانت تقام خصيصا لهذا الغرض بهدف الحصول على أعلى سعر لها.

*الجزء الثاني: علاقة دلاّلي الكتب بالمكتبات في العصرين الأموي والعباسي:

نظرا لأن الكتب كانت القاسم المشترك بين مهنة دلالة الكتب والمكتبات في تاريخ الحضارة الإسلامية، فكان من الطبيعي أن تجمع بين دلالي الكتب والمكتبات علاقة وطيدة، وقد نشأت وتكونت هذه العلاقة من تعدد أدوار دلالي الكتب ومهامهم، الذين لم يقتصر دورهم على مجرد الدلالة للكتب بشكل فردي والمتاجرة فيها بيعًا وشراءً فقط، والذين لم يقتصر تواجدهم أيضا على أماكن محددة بعينها كأسواق الوراقين وحوانيتهم، بالرغم من أنها كانت المكان الغالب لتواجدهم معظم الوقت وبخاصة عندما كانت الكتب تُباع بشكل فردي، بل كانت تضطرهم الظروف أحيانا إلى الانتقال إلى أماكن أخرى، حيث توجد الكتب لتُقيم وتُباع في شكل جماعي أو مجموعات، ويصعب من جانب آخر نقلها إلى حلقات الدلالة بأسواق الورقين لحجمها الكبير، وكانت بحاجة إلى من يقيمها ويسعرها، فما كان من وسيلة إلى ذلك إلا بإقامة

حلقات الدلالة في أماكن تواجد تلك الكتب واستدعاء الدلالين لتقييمها وتسعيرها، لأنهم كانوا الأجدر والأكثر خبرة في تقييم الكتب وتسعيرها، وفي هذه الحالة كان دلالو الكتب يتركون أسواق الوراقين وحوانيتهم، وينتقلون إلى المكان المراد تقييم الكتب وتسعيرها فيه، وقد كانت المكتبات من أبرز الأماكن التي كان دلاّلو الكتب ينتقلون إليها، بسبب كثرة كتبها وصعوبة حملها ونقلها إلى أسواق الوراقين من جانب، وأنها معروضة للبيع بشكل كامل من جانب آخر، وبعد أن ينتقل الدّلال إلى مكان وجود المكتبة، فيبدأ بمشاهدت مقتنياتها أولا، ثم يقوم بتقييمها وتسعيرها، وهذا ما فعله خيران الوراق عندما انتقل إلى مكتبة ثعلب النحوي بعد وفاته، وطلب منه الوزير القاسم بن عبيد الله تخمينها أي تقييمها وتسعيرها، فقوم وسعر ما كان يساوي عشرة دنانير بثلاثة، فبلغت أقل من ثلاثمائة دينارًا[٦٠]، وتحمل الرواية السابقة في طياتها ومحتواها عدم وجود أمانة من قبل خيران الوراق في تقييمه وتسعيره لكتب تلك المكتبة، لأنه قد يكون خضع إما لرشوة مالية، وإما لخوف من سلطة الوزير المذكور، وأيا كان السبب فهذا الوراق بذلك التصرف قد خرق وخالف المبدأ الأخلاقي والسلوكي والمهني الذي رسمه دلالو الكتب لأنفسهم ولمهنتهم في الحضارة الإسلامية.

ولم تكن مكتبة ثعلب هي المكتبة الوحيدة التي بيعت في حلقات الدلالة بأبخس الأثمان، بل كانت هناك مكتبات أخرى: كتركة الطبيب الأسلمي أسعد بن المطران، التي كان فيها ألوف كثيرة من الأجزاء الصغار، وقد بيعت في حلقات الدلالة بثلاثة آلاف درهما[٦١]، فيما حصلت واقعة لبيع كتب بعكس هذه تمامًا، فقد حكى يحيى بن عدي أن كتابين من شرح الإسكندر للسماع ولكتاب البرهان عرضهما الدلال عليه بمئة وعشرين دينارًا، قال: فمضيت لأحتال في الدنانير، ثم عدت، فأصبت القوم، فوجدتهم قد باعوا الشرحين في جملة كتب علي رجل خراساني بثلاثة آلاف دينارا[٦٢].

أما في مصر وبخاصة بعد سقوط الدولة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي، فقد حدثت أبرز واقعة يمكن على أساسها توضيح علاقة دلالي الكتب بالمكتبات في الحضارة الإسلامية، ففي هذه الواقعة بيع كثير من كتب خزائن الدولة الفاطمية عن طريق الدلّالين، وقد وصف أبو شامة طريقة بيع كتب المكتبة الفاطمية بالمزاد العلني بقوله: "أخذ الدلال الكتب بقرع عشوائية، يتألف كل منها من عشرة كتب، وكان أحد كبار المشترين وزير صلاح الدين المنقف جامع الكتب القاضي الفاضل، ويقول أبو شامة أن القاضي ذهب للشراء، وانتخب كل الكتب التي كان يريد شراءها قبل المزاد، ثم نزع عنها أغلفتها، ورماها في وعاء، كما لو كانت نفاية، وبهذا لم يعن أحد بتلك الكتب، وعندما انتهى يوم المزاد، عمد إلى شراء غنيمته بمبلغ صغير، ومهما كان ذلك، فقد استخدمت هذه الكتب استخداما حسنا، بعد إعادة تجليدها وصيانتها، إذ أعطى القاضي الفاضل مئة ألف مجلد إلى المدرسة التي أسسها والمعروفة آنذاك بالمدرسة الفاضلية"[٦٢].

كما تحصل عماد الدين الكاتب الأصفهاني أيضا على كتب نادرة من المكتبة الفاطمية في القاهرة، حيث قُدر ما تحصل عليه بمقدار ثمانية أحمال بطريق الشراء والإهداء، ثم نقلها إلى الشام، وهو يقول بهذه المناسبة: كان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان، وهي تباع بالمجّان وبأرخص الأثمان، وخزائنها بالقصر مرتبة البيوت مقسّمة الرفوف مفهرسة بالمعروف، فقيل للأمير بهاء الدين قراقوش متولّي القصر والحالّ والعاقد للأمر: "هذه الكتب قد عاث فيها العُثّ وتساوى سمينها والغثّ، ولا غنىً عن تهويتها ونفضها، وإخراجها من بيوت الخزانة إلى أرضها"، وهو تركي لا خبرة له بالكتب، ولم يدر أن في نفضها إنفاضها، وأن في تصحيحها إمراضها، وهي مبوّبة في مقاصيرها، معيّنة في محاجيرها، مثبتة بخطوطها المنسوبة وأعدادها المحسوبة في دساتيرها، وكان مقصد دلالي الكتب أن يوكّسوها ويخرّموها ويعكّسوها. فأخرجت – وهي أكثر من مائة ألف – من أماكنها، وغُربت عن مساكنها، وخرجت من أوكارها، وذهبت أنوارها، وشُتّت شملها. فاختلط أدبيها بنجوميها وشرعيها بمنطقيها، وطبيها بهندسيّها، وتواريخها بتفاسيرها، ومجاهيلها بمشاهيرها. وكان فيها من كتب الأمصار والتواريخ الكبار ما يشتمل كل كتاب على خمسين أو ستين مجلداً،

إذا فُقِدَ منها جزء لا يخلّف أبداً. فاختلطت واختبطت، فكان الدلال يُخرج عشرة عشرة من كل فن كتباً مُبتّرة، فتُسام بالدون وتُباع بالهون. والدلاّل يعرف كل شدّة وما فيها من عدّة، ويعلم أن عنده من أجناسها وأنواعها، وقد شارك غيره في ابتياعها، حتى إذا لفّق كتاباً قد تقوّم عليه بعشرة، باعه بعد ذلك لنفسه بمائة، فلما رأيت الأمر، حضرت القصر واشتريت كما اشتروا، ومريت الأطباء كما مروا. واستكثرت من المتاع المبتاع، وحويت نفائس الأنواع، ولما عرّفت السلطان ما ابتعته - وكان بمئتين - أنعم بها عليّ. ثم وهب لي أيضا من خزانة القصر ما عيّنتُ عليها، ودخلت عليه يوماً وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من القصر، وهو ينظر في بعضها، فبسط يديّ لقبضها، وقال لي: "كنت طلبت كتباً عيّنتها. فهل في هذه شيء منها؟"، فقلت: "كلها، وما أستغني عنها"، فأخرجتها من عنده بحمّال، وكان هذا منه بالإضافة إلى سماحه أقل نوال وأهنأ رفد بغير سؤال[٦٤]، ووفقا لما ذكره المقريزي في خططه من أن أبا الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري، المعروف بابن صورة المصري (المتوفى سنة ٦٠٧هـ)، هو دلال الكتب الذي تولى أمر الدلالة لكتب هذه المكتبة وبيعها، التي استمر بيعها عدة أعوام[٦٥].

ويستنتج الباحث مما سبق أن الفاعل الأصلي لتشتّت كتب المكتبة الفاطمية بالقاهرة ليس بالدرجة الأولى أن يكون بهاء الدين قراقوش، بل كان بعض دلاّلي الكتب الذين يريدون الحصول على الأموال بلا تعب، وكذلك بعض هواة الكتب الذين يريدون نهب ما فيها والحصول عليه بأبخس الأثمان، علاوة على أن علاقة دلالي الكتب بالمكتبات في الحضارة الإسلامية كانت تظهر بوضوح عندما تصيب المكتبات النوائب والمصائب والرزايا، وإن كان هذا لم يمنع من وجود علاقة بينهم وبين المكتبات القائمة بالفعل، أو تلك التي سوف يتم تأسيسها، وإن لم تكن بنفس القوة والوضوح، لأن الكتب التي كانت بأيدي الدلالين تؤل إلى تلك المكتبات، علاوة على أن بعض أصحاب تلك المكتبات كانوا يعتمدون أحيانا على الدلالين لاختيار كتبها، لأن دلالي الكتب كانوا الأكثر دراية بما هو نادر ونفيس من الكتب في ذلك الوقت.

*الجزء الثالث: أشهر دلاّلي الكتب ومن في حكمهم خلال العصرين الأموي والعباسي:

لقد شهدت مهنة دلالة الكتب كغيرها من المهن المرتبطة بالكتب والمكتبات في الحضارة الإسلامية العديد من المشاهير الذين مارسوها بشكل مستقل أو بجانب مهنتهم الأصلية، أو مارسوها بشكل فردي أو بشكل جماعي، وبين هذا وذاك فقد كان خيران الوراق من أبرز من مارس مهنة دلالة الكتب بجانب مهنته الأصلية ألا وهي الوراقة، لأنه كان ذا خبرة واسعة في تسعير الكتب وتقييمها[٦٦]، ويفهم مما سبق أن خيران الوراق كان وراقًا في بداية الأمر، ثم تحول إلى دلال للكتب، وجمع بين المهنتين معا بعد ذلك، كما كان أبو القاسم إسماعيل بن أحمد ابن عمر أبي الأشعث السمرقندي الدمشقي المولد، ثم البغدادي الموطن (توفى سنة ٥٣٦هـ) من أبرز من مارس مهنة دلالة الكتب في بغداد، وقد قال عنه ابن عساكر "كان ثقة مكثرًا، صاحب أصول، دلالًا في الكتب، وهذا ما أكده أيضا ابن ناصر حيث قال عنه: كان دلالًا"[٦٧]، وممن مارس أيضا دلالة الكتب الأديب الشاعر سعد بن علي بن القاسم أبو المعالي الأنصاري الخطيري، وكان أديبًا فاضلًا شاعرًا رقيق الشعر وله مصنفات عديدة، فهو صاحب كتاب "زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر"، الذي جعله ذيلًا على كتاب "يتيمة الدهر" للثعالبي، وكان معروفًا باسم الوراق دلاّل الكتب[٦٨]، وكان سعد بن علي من أهل الحظيرة، وقدم إلى بغداد واستوطنها، وأمتهن بيع الكتب فيها، وأكد ياقوت الحموي ذلك في ترجمته لسعد حينما ذكر عنه أنه كان وراقًا ودلالًا في الكتب والدفاتر، سافر إلى بلاد الشام، وعاد منها إلى بغداد، وتوفي سنة ٥٨٦هـ/١١٧٢م[٦٩]، ومن الأعلام الذين حملوا نسبة دلاّل الكتب أو وصفوا بها: عبد الرحمن بن موسى بن عمر بن الناسخ بن المنادلي، وكان معروفًا بحسن الخط، ونسخ كثيرًا من الدواوين، وتوفى في جمادى الآخرة سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م[٧٠]، وممن اشتهر في مصر بدلالة الكتب أبو الفتوح ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري، المعروف بابن صورة المصري (المتوفى سنة ٦٠٧هـ)، فقد كان له حانوت في دهليز داره يبيع فيه الكتب، وكان حانوته يستقطب أعيان البلاد من العلماء والأدباء الذين كانوا يجتمعون عنده أيام الأحد والأربعاء من

كل أسبوع يتخيرون مما لديه من كتب، وكان إلى جانب ذلك يعمل دلالاً للكتب، ويقوم بتسعيرها، ويسافر من أجلها إلى أنحاء مختلفة من مصر، وإن كان ابن خلكان قد أطلق عليه مسمى آخر من خلال قوله عنه أنه: "كان سمسارًا في الكتب بمصر"[٧١]، ومما يُنسب لابن صورة كما ذكر المقريزي في خططه أنه كان دلال الكتب الذي باع كتب المكتبة الفاطمية بالقاهرة[٧٢].

ونظرا لتسمية بعض المؤرخين كابن خلكان مثلا لدلاّل الكتب بالسمسار، فقد دعت الحاجة إلى التعرض لسمسار الكتب، بهدف الوقوف على جوانب الاختلاف والاتفاق بينه وبين دلال الكتب، فالسمسار يقصد به "الوسيط بين البائع والمشتري، والساعي للواحد منهما في استجلاب الآخر، وهو غير الدلاّل[٧٣]، لأن الدلال كان يقوم بالدعاية والترويج للكتب والنداء عليها في حلقات تقام خصيصًا لهذا الغرض، وهذا ما لا يظهر بوضوح في مهمة سمسار الكتب، الذي كان لا يشترط في مهمته إقامة حلقات دلالة للكتب والمناداة عليها، وقد جرى هذا الأمر أيضا على الوراق حينما أطلق عليه ابن خلكان لقب سمسار الكتب، حيث ذكر أن في القرن السابع الهجري كان سمسار للكتب في القاهرة يدعى "ابن صورة"، وكانت داره عبارة عن ندوة أدبية يجتمع فيها كل يوم أحد وأربعاء من كل أسبوع أعيان الرؤساء والفضلاء والعلماء والأدباء، ويعرض عليهم الكتب التي تباع، وما يزالون عنده حتى انقضاء السوق[٧٤]، ومن الأعلام الذين حملوا أيضا صفة سمسار كتب: الإمام المحدث أبو إسحاق إبراهيم بن حرب العسكري، مؤلف مسند أبي هريرة (المتوفى بعد سنة ٢٨٢هـ)، وكذلك أحمد بن عبد الله بن علي بن محمد الشهاب بن الجمال الكناني العسقلاني القاهري، ابن الجندي (المتوفى سنة ٨٨١هـ)، الذي ارتزق مدة بالسمسرة في الكتب، وتقدم بين أهلها، ثم تركها بعد ولاية ابن عمه العز قضاء الحنابلة[٧٥].

وبالانتقال إلى مهنة الوراقة فكانت مهنة ذات أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي، وكان من يشتغل بها يُسمى بمسميات عديدة منها: الوراق، والمورِّق، والصحّاف، والصحفي، والكتبي، ودلاّل الكتب، والوراق هو: ذلك الشخص الذي كانت وظيفته انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والمتاجرة فيها، وكان للوراقين أسواق خاصة في المدن الكبيرة يُقال لها سوق الوراقين، أو سوق الصحافين، أو

سوق الكتبيين، أما الوراقون الذين كانوا يشتغلون بتجارة الكتب، فكان يُقال لهم دلاّلو الكتب، كما كان منهم من يجلب لهواة الكتب ومحبيها ما أرادوا من الكتب النادرة، حتى ولو كانت من البلدان البعيدة[٧٦]، ومما سبق يظهر أن هناك تداخلاً وتقاربًا شديدًا بين مهنتي الوراقة ودلالة الكتب، بدليل تصنيف بعض المؤرخين لدلاّلي الكتب ضمن الوراقين، وجمعوا بينهم في مصطلح واحد، وهو الوراقون الدلاّلون، وهم من كانوا يقومون بالوساطاء بين باعة الكتب وجمهور المشترين، وقد تخصص مثل هؤلاء في هذه المهنة بدافع اقتصادي أولا، حيث كانوا يتعيشون من ورائها، ويتكسبون منها قوت يومهم، وبدافع ثقافي ثانيا من خلال معرفتهم بأخبار الأدب والأدباء، وأخبار المصادر والدراية بها، وكان معظم هؤلاء أدباء بالأساس، فكان فيهم المؤلف والناقد والخطاط والمقوم لأسعار الكتب في ضوء أهمية الكتاب وصاحبه ومنزلته، ويُضاف إلى ذلك حسن اختيارهم للكتب التي كانوا يقعون عليها في حلقات الدلالة، واحتيازهم لها، لذلك تآلفوا مع مهنتهم وأحبوها، فهم وسطاء بين أوساط مثقفة – الأدباء والجمهور المتذوق– لذلك كانوا يُستشارون كثيرًا في شراء نوعية الكتب واقتنائها، حتى عرف بعضهم بتخصصه بجمع الطرائف، لأن عملية بيع الكتب عن طريق النداء – وهي الطريقة الشائعة في سوق الوراقين آنذاك – كانت تجعل الدلاّل مطلعًا عليها قبل غيره، لذلك يشترى ما يريده له، وبسعر مخفض حتما، ومن جامعي الطرائف هؤلاء عُرف الطرسوسي الوراق، وأحمد بن يوسف بن أبي الزهر الحلبي الملقب بالطرائفي[٧٧].

ومن جانب آخر فقد اشتهر بعض الوراقين ببيع الكتب، وهؤلاء كان يُقال لهم الكتبيون، ومنهم جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى المعروف بالوطواط، الذي ولد سنة ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، وهو صاحب كتاب "غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة"، وكتاب "مباهج الفكر ومناهج العبر"، ومن الكتبيين النساخ أيضا محمد بن أحمد القرشي الدمشقي أبو عبد الله شرف الدين (توفى سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م)، وكان هناك أيضا ابن شمعون الكتبي الذي كان يعد من جملة الوراقين الشعراء، واشتهر أيضا بدمشق محمد بن شاكر الداراني الدمشقي الذي تعاطي تجارة الكتب، فُرزق منها مالًا طائلًا، ومن كتبي القرن الثامن للهجرة شمس

الدين محمد بن قاضي اليمن (توفى بدمشق سنة ٧١١هـ/١٣١١م)، وأبو اسحاق إبراهيم بن شمس الدين الفاشوشة (توفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، وكذلك أحمد بن إبراهيم الكتبي الصالحي في سنة (٧٩٥هـ/١٣٩٣م)[٧٨]، كما كان هناك أيضا من يُعرفون بالأدباء الجوالين الذين كانوا ينتقلون من بلد إلى بلد لشراء الكتب أو بيعها، وكان فريق منهم يطوي الصحاري ويجوب الأقطار حاملًا على ظهره الكتب، كأنه سوق كتب طوافة، فكانوا كيفما ذهبوا أو حيثما حلوا يروجون سوق الأدب بترويج سلعهم الكتابية[٧٩]، ومن أبرز الأدباء الجوالين ياقوت الحموي الذي كان تاجرا للكتب يشتريها ويبيعها وينتقل بها في البلاد[٨٠]، أما في الأندلس فقد عرفت أسواق كتبها فئة من الوراقين تخصصت في الترويج والدعاية للكتب والنداء عليها، وهؤلاء كان يُطلق عليهم لقب دلاّلي الكتب، وكان من بينهم العالم الأديب محمد بن عيسى بن علي التدلي الصنهاجي الأندلسي (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)[٨١]، وفيما يلي قائمة بأبرز دلاّلي الكتب ومن في حكمهم في الحضارة الإسلامية:

قائمة بأبرز دلّالي الكتب العرب وما في حكمهم خلال العصرين الأموي والعباسي

المهنة	الأشخاص
دلالو الكتب	١-أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي ولد في دمشق عام ٤٥٤هـ، وتوفى سنة ٥٥٣٦/١١٤١م ودفن بمقابر الشهداء[٨٢]، ورغم ولادته ونشأته في دمشق، إلا أنه شد الرحال إلى بغداد، وأنس بأهلها، واشتغل في سوق الوراقين دلّالًا للكتب[٨٣]، وقال عنه ابن عساكر أيضا أنه "كان ثقة مكثرًا، صاحب أصول، دلالًا في الكتب، وكان له حظ في بيع الكتب، باع مرة صحيح البخاري ومسلم في مجلدة لطيفة بخط الصوري بعشرين دينارًا"[٨٤]، وقال عنه ابن ناصر: كان دلّالًا، سيء المعاملة، يُخاف من لسانه، يُخالط الأكابر بسبب الكتب"[٨٥]، وعلى ما يبدو أن الرجل كان من علماء الحديث، ويقول عنه ابن الجوزي: كان دلّالًا في بيع الكتب[٨٦]. ٢-أبو سعد أحمد بن عبد الجبار بن الطيوري، الذي ذكر الذهبي عنه أنه كان يعمل دلالًا للكتب[٨٧]. ٣-ابن قرابة، الذي جاء ذكره في حادثة بيع مسودة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، حينما أخرجت إلى سوق الوراقين، وبيعت في النداء بأربعة آلاف درهم، وإن أكثرها في ظهور وبخط التعليق – الفاسي – وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفص، قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: فانفذت إلى "ابن قرابة"– وربما كان الدلّال الذي باعها – وسألته إنفاذ صاحبها ليبتاعها، فأعلمني أنها بيعت، وأرسلت إلى ابن حفص، فأنكر أنه يعرف شيئًا من هذا، فبحثت كل البحث فما قدرت عليها[٨٨]. ٤– سعيد بن محمود الكوراني الشهير بالكردي، سكن مكة المكرمة، وعمل بها دلالًا للكتب[٨٩]. عبد الرحمن بن موسى بن عمر الناسخ المناديلي (توفى سنة ٥٧١٥/ ١٣١٥م)، كان دلالًا في الكتب، ونسخ كثيرًا من الدواوين الشعرية، وكان خطه حسنا، قطعت يده اليمنى، ثم صار يكتب بشماله[٩٠]. محمد بن محمود الفقيه بن عبد اللطيف السكندري، تكسب بنسخ القماش، ثم ترك صناعته، وصار دلالًا بالوراقين[٩١]. محمد محب الدين بن أحمد الحمصي الذي عُرف بدلال الكتب في سوق الوراقين[٩٢].

	محمد بن عمر بن محمد النشيلي (عاش في القرن ٩ هـ/ القرن ١٥م) دلال الكتب[١٢].
الوراقون الدلالون	١- أبو سعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق، ذكره ياقوت الحموي في معرض حديثه عن كتاب الطبري المسمى كتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، وقال: وقع هذا الكتاب إلى أبي سعيد الدينوري الوراق، وخرج به إلى الشام، فقطع عليه ولم يبق معه إلا جزءان، فيهما الكلام في حقوق الله الواجبة على الإنسان في بصره والحقوق الواجبة في سمعه(٩٤). ٢- أحمد بن يوسف بن أبي الزهر الحلبي الملقب بالطرائفي(٩٥). ٣- الطرسوسي الوراق، كان من وراقي بغداد، ومن جامعي الطرائف والنوادر، أهدي أبا نصر سهل بن المزربان مجلدة بخط السري الرفاء، فاستصحبها أبو نصر، وأنفذها إلى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب(٩٦). ٤- خيران الوراق الذي كان ذا خبرة واسعة في تسعير الكتب وتقييمها، وهذا ما أكده ياقوت الحموي حينما ذكر عنه "أن أحمد بن ثعلب بعد وفاته" خلف كتبًا جليلة، فأوصى إلى علي بن محمد الكوفي، أحد أعيان تلاميذه، وتقدم إليه في دفع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن محمد إسحاق القطربلي، فقال الزجاج للقاسم بن عبد الله (الوزير) هذه كتب جليلة فلا تفوتنك، فأحضر خيران الوراق، فقوم ما يساوي عشرة دنانير بثلاثة، فبلغت أقل من ثلاثمائة دينار، فأخذها القاسم بها(٩٧). ٥- أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري الخزرجي الوراق الحظيري، المعروف بدلال الكتب(٩٨)، وينسب إلى موضع فوق بغداد يقال له الحظيرة، لكنه قدم إلى بغداد واستوطنها وأمتهن بيع الكتب، حتى عُرف فيها بدلال الكتب، ويؤكد ياقوت الحموي ذلك في ترجمته لسعد ويذكر عنه أنه كان وراقًا ودلالًا في الكتب والدفاتر، سافر إلى بلاد الشام، وعاد منها إلى بغداد، وتوفي سنة ٥٨٦هـ/١١٧٢م ودفن بمقبرة باب حرب(٩٩)، وذكر عنه أيضا أنه كان أديبًا فاضلًا شاعرًا ودلالًا للكتب(١٠٠)، وألف مجاميع ما قصر فيها، كما يقول ابن خلكان منها: كتاب زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر- ذيله على دمية القصر للباخرزي، الذي جعله ذيلا على يتيمة الدهر للثعالبي، وكتاب لمح الملح، وديوان شعر(١٠١).

	٦- محمد بن عيسى بن علي التدلي الصنهاجي الأندلسي الدمشقي، الذي كان وراقا ودلالًا في الكتب، وكان عالمًا أديبًا توفى في (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)(١٠٢).
الدلالون السماسرة	١- أبو الفتوح، ناصر بن أبي الحسن علي بن خلف الأنصاري، المعروف بابن صورة المصري، دلال الكتب (توفى سنة ٦٠٧هـ)، ووصفه ابن خلكان بأنه: "كان سمسارًا في الكتب بمصر، وكان له حانوت في دهليز داره يبيع فيه الكتب. وكان حانوته يستقطب أعيان البلاد من العلماء والأدباء يجتمعون عنده أيام الأحد والأربعاء من كل أسبوع يتخيرون مما لديه من كتب. وكان إلى جانب ذلك يعمل دلالًا للكتب يقوم بتسعيرها ويسافر من أجل ذلك إلى أنحاء مختلفة من مصر. وقد سار ابن صورة إلى الإسكندرية لبيع كتبه"(١٠٣).
الدلالون الجوالون	ياقوت الحموي الذي كان تاجرًا للكتب يشتريها ويبيعها وينتقل بها في البلاد(١٠٤).
المتكسبون من الكتب	١- محمد بن محمد العبدري الغرناطي النحوي (توفى سنة ٧٥٣هـ/١٣٥٣م) كان يتكسب بالكتب(١٠٥). ٢- محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن عزم الشمس أبو عبد الله التميمي التونسي (توفى سنة ٨٩١هـ) زار بيت المقدس، ثم رجع إلى القاهرة، ثم إلى مكة، وتكسب في كل منها بتجارة الكتب والتجليد(١٠٦). ٣- وممن امتهن الوراقة وتكسب منها الحسن بن شهاب بن الحسن أبو علي العكبري، ولد الحسن في عكبراء سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، وكان فقيها أديبا وشاعرا، وقد بلغ رأس ماله من الوراقة خمسةً وعشرين ألف درهم جمعها من نسخ كتب الشعر والأدب وبيعها، وقد أكد الحسن أبو علي العكبري ذلك وقال: كسبت في الوراقة خمسةً وعشرين ألف درهم راضية، (أي بالتوافق والرضاء بالبيع) وكنت اشتري كاغدا بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال، وابيعه بمائتي درهم ، وأقله بمائة وخمسين درهما، وكذلك كتب الأدب المطلوبة(١٠٧). ٤- وممن اتخذ الوراقة للتكسب والعيش يحيى بن محمد أبو محمد الأرزني عاش

	في بغداد ومات فيها سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، وكان إمامًا في العربية واشتهر بحسن الخط وسرعة الكتابة، كان يخرج في كل يوم وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب كتاب "الفصيح" لثعلب ويبيعه بنصف دينار ينفقها كلها على قوت يومه من لحم ونبيذ وفاكهة(١٠٨).
سماسرة الكتب	١- أبو إسحاق إبراهيم بن حرب العسكري مؤلف كتاب مسند أبي هريرة (توفى بعد سنة ٢٨٦هـ)(١٠٩). ٢- أحمد بن عبد الله بن علي بن محمد الشهاب بن الجمال الكناني العسقلاني القاهري ابن الجندي (توفي سنة ٨٨١هـ)(١١٠).
الوراقون الكتبيون (١١١)	١- جمال الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى المعروف بالوطواط، ولد في عام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م، وهو صاحب كتاب "غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة"، وكتاب "مباهج الفكر ومناهج العبر". ٢- محمد بن أحمد القرشي الدمشقي أبو عبد عبد الله شرف الدين، كان خطه كثير السقم مع حسنه، توفى سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م. ٣- شمس الدين إبراهيم بن أبي بكر بن عبد العزيز الجزري، نسبته إلى جزيرة ابن عمر، ويعرف بابن شمعون الكتبي، كان من الفضلاء المطلعين على العلوم وأخبار العالم وتواريخ المتقدمين، واجتمع له من الكتب في حانوته بدمشق شيء كثير، ولما احترقت سوق اللبادين في الدولة المنصورية، احترق جميع ما كان في حانوته من الكتب، ثم توجه بمتجر إلى الديار المصرية في الأيام الكاملية، كان من جملة الوراقين الشعراء. ٤- محمد بن شاكر الداراني الدمشقي، كان فقيرًا جدًا، ثم تعاطى التجارة في الكتب، فرزق منها مالًا طائلًا، وله فوات الوفيات، وكتاب عيون التواريخ، وتوفي سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م. ٥- شمس الدين محمد بن قاضي اليمن توفى بدمشق سنة ٧١١هـ/١٣١١م. ٦- أبو إسحاق إبراهيم بن شمس الدين الفاشوشة والمعروف بالفاشوشة الكتبي واحد من الذين اشتغلوا بالوراقة وعلوم العربية والآداب، ونال الشهرة فيها، ولم تذكر

	المصادر تاريخ ولادته، بل ذكرت تاريخ وفاته، حيث توفى سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م. ٧- أحمد بن إبراهيم الكتبي الصالحي توفى سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م، وكان مشاركا في الفنون. ٨- محمد بن إبراهيم بن يحيى الكتبي (توفى سنة ٧١٨هـ/١٣١٨م) كانت صناعته الوراقة، وبيع الكتب(١١٢).
تُجار الكتب	١- علان الشعوبي؛ إذ كان له دكان يبيع فيه الكتب(١١٣). ٢- أبو القاسم سهل بن محمد السجستاني الجشمي، النحوي اللغوي (توفى سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، وذكر عنه القفطي عنه أنه "كان جماعة للكتب، وكان يتجر فيها، وهو أحد طلاب الأصمعي النابهين(١١٤). ٣- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد النديم البغدادي، المعروف بابن أبي يعقوب، الوراق، صاحب كتاب الفهرست، حيث كان يبيع الكتب في بغداد، وقد أتاح له ذلك أن يرى معظم الكتب التي ذكرها، وأن يحدد قيمتها العلمية والمادية، وتوفي في سنة ٣٨٠هـ/٩٩٠م(١١٥). ٤- إبراهيم بن سعيد النعماني المصري، أبو إسحاق الحبال (توفي سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م)، كان من حفاظ الحديث، وكان يتجر بالكتب(١١٦). ٥- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ولد ياقوت في بلاد الروم سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م، وتوفى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) كان يشتغل بالنسخ بالأجرة، وبتجارة الكتب(١١٧). ٦- أبو جعفر محمد بن المنذر السلمي كان يسافر لتجارة الكتب(١١٨). ٧- علي بن أحمد بن يوسف بن الخضر زين الدين الآمدي (توفى سنة ٧١٤هـ)، كان من أكابر الحنابلة فقها وصلاحا وصدقا ومهابة، عمي في صغره، وكان آية في قوة الفراسة، وحدة الذهن، احترف التجارة بالكتب، وجمع كثيرا منها، وكان كلما اشترى كتابا أخذ ورقة وقتلها، فصنفها حرفا أو أكثر من حروف الهجاء لعدد ثمن الكتاب بحساب الجمل، ثم يلصقها على طرف جلد الكتاب، ويجعل فوقها ورقة تثبتها، فإذا غاب عنه ثمنه مس الرحوف الورقية فعرفه(١١٩).

٨- أحمد بن عباس الأنصاري في الأندلس، وقد جمع من الأدوات السلطانية والكتب ودواوين الشعر مل يجتمع عند ملك، وقد توفى قتيلا بأمر باديس أمير غرناطة في عشية ٢١ من ذي الحجة سنة ٤٢٧هـ بالغا الثلاثين من عمره(١٢٠). ٩-أحمد بن سرور بن سليمان السمسطاري، كان عارفًا بالكتب وأثمانها، وكف بصره في آخر عمره، وتوفي سنة ٥١٧هـ في صعيد مصر(١٢١). ١٠-علي بن أحمد بن يوسف الشيخ زين الدين الآمدي، وقد اشتهر بتجارة الكتب، وتوفي سنة ٧١٢هـ(١٢٢). ١١-أبو عبد الله محمد بن بليش العبدلي الغرناطي، فقد تميز في أول حياته بالتجارة في الكتب وأثرى بها وتوفى سنة ٧٥٣هـ(١٢٣). ١٢-محمد بن سليمان بن سيذراى الكلابي الوراق، ولد في مدينة قلعة أيوب وتعلم فيها وكان من رواة الحديث ثم إنتقل من قلعة أيوب إلى بلنسية، وكان يحترف مهنة الوراقة ويبيع الكتب في دكان له في مدينة بلنسية، وقد ورث محمد بن سليمان هذه المهنة من والده والذي كان أيضاً وراقاً، توفي محمد سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م(١٢٤).	

٣- نتائج الدراسة وتوصياتها:

٣/١- نتائج الدراسة:

١- عرف العرب مهنة الدلالة قبل ظهور الإسلام عن طريق الرومان، حيث نقلها التُجار العرب إلى شبه الجزيرة العربية، بينما مارسوا دلالة الكتب في أواخر القرن الثاني الهجري.

٢- كان العامل البشري والشخصي أساس كل الانتقادات التي وجهت لمهنة الدلالة بشكل عام ودلالة الكتب بشكل خاص، ولم يكن للعامل المهني أي دور في تلك الانتقادات، بدليل أن الدين الإسلامي أجازها تحت مسمى بيع من يزيد أو البيع بالمزوادة.

٣- كانت مهنة دلالة الكتب في جميع الدول الإسلامية ذات سمات مشتركة ، فقد كان أسلوب النداء العلني هو الأسلوب الأساسي في ممارستها في حلقات الدلالة.

٤- اختلفت مهنة دلالة الكتب في بعض جوانبها، فمن حيث الأسلوب كانت تمارس في مناطق من الثبات، وفي مناطق أخرى كانت تتم بأسلوب الطواف، أما بالنسبة لطريقة بدءها فكانت في بعض المناطق تبدأ بدعاء، وفي مناطق أخرى كانت تبدأ بقراءة الفاتحة.

٥- تحكمت عدة عناصر في تقييم الكتب وتسعيرها في حلقات الدلالة، وهي: الدلال ومدى خبرته في تقييم الكتب وتسعيرها، والكتاب ذاته واسم مؤلفه وعنوانه وموضوعه ونوع خطه ومدى جودته وإخراجه المادي، ومدى ندرته ونسبته لشخص عظيم، علاوة على المكان المقام فيه حلقات الدلالة ومدى شهرته.

٦- تركزت مصادر حصول الدلالين على الكتب في ثلاثة مصادر أساسية هي: بيع تركات العلماء بعد موتهم، وسرقة الكتب ونهبها، وفقر العلماء وحاجتهم للمال.

٧- انفردت مهنة دلالة الكتب عن باقي المهن المرتبطة بالمكتبات، بأنها كانت تزدهر وتنشط في جميع الحالات التي عليها مكتبات الحضارة الإسلامية وبخاصة في حالة تعرض المكتبات للمصائب والنوائب والرزايا.

٨- كان الصدق والأمانة هي السمة الغالبة في معظم دلالي الكتب في الحضارة الإسلامية، وإن كان هذا لا يمنع من وجود بعض الدلالين أصحاب النفوس الضعيفة لها.

٩- اقتصرت ممارسة مهنة دلالة الكتب على الرجال فقط، لأن هذه المهنة لم تكن تناسب النساء لأسباب دينية واجتماعية، التي كانت تحظر عليهن التواجد بين الرجال والمجاهرة بصوتهن.

١٠- في الوقت الذي مثلت فيه أسواق الوراقين وحوانيتهم المكان الأساسي لتواجد دلاّلي الكتب وإنعقاد حلقات الدلالة، لكن كانت هناك بعض الظروف تستدعي انتقال الدلالين إلى أماكن أخرى، وقد كانت المكتبات من أبرز الأماكن التي ينتقل إليها دلالو الكتب.

١١- كان دلالو الكتب يراعون الظروف الاقتصادية والاجتماعية لطلاب العلم عندما يرغون في شراء الكتب ولا يستطيعون ماديًا.

٢/٣- توصيات الدراسة:

١- دراسة مهنة دلاّلة الكتب في الوقت الحالي ومقارنتها بواقعها في الحضارة الإسلامية.

٢- دراسة دور دلالي الكتب في الضبط الببليوجرافي للكتاب العربي في الحضارة الإسلامية.

٣- دراسة واقع مهنة دلالة الكتب لدى الناشرين ودورها في الدعاية والترويج والتسويق للكتب.

٤- دراسة دور المؤلفين المصريين في الدعاية والترويج والتسويق لمؤلفاتهم.

٥- دراسة البعد الإعلامي في مهنة دلاّلي الكتب في الحضارة الإسلامية.

٦- دراسة التطور التاريخي لمهنة دلاّلي الكتب وعلاقتها بتطور مصادر المعلومات.

* مصادر الدراسة:

[١]- يحيى محمود ساعاتي. "ملامح من تاريخ تجارة الكتب في الإسلام".- مجلة العصور، مج١، ج١(١٩٨٦).- ص٦٧.

[٢]- عابد سليمان المشوخي. تجارة المخطوطات وطرق فحصها وتقييمها.- ط١.- القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ٢٠١١.- ص٢٨.

[٣]- محمد المنوني. تاريخ الوراقة المغربية: صناعة المخطوط المغربي من العصر الوسيط إلى الفترة المعاصرة.- ط١.- جامعة محمد الخامس: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ١٩٩١.- ص٢٩.

[٤]- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة (ت٧١١ه/١٣٣١م). لسان العرب: المجلد الثاني/ تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي.- القاهرة: دار المعارف، د.ت.- ص ٤٢٠.

[٥]- بطرس البستاني. محيط المحيط: قاموس مطول للغة العربية.- ط جديدة.- بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧.- ص٦٨.

[٦]- المرجع السابق نفسه.- ص٢٨٩.

[٧]- المرجع السابق نفسه.- ص٤٣٧.

[٨]- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة (ت٧١١ه/١٣٣١م). مرجع سابق.- ص ٤١٨٥.

[٩]- بطرس البستاني. مرجع سابق.- ص٩٦٦.

[١٠]- ابن خلدون، عبد الرحمن محمد (ت٨٠٨ه/١٤٠٥م). مقدمة ابن خلدون/ تحقيق علي عبد الواحد وافي.- ط٢.- القاهرة: دار النهضة، ١٩٨١.- ص ص٣٦٧-٣٦٨.

[١١]- المرجع السابق نفسه.- ص٤٢١.

[١٢]- اعتمد الباحث على:

أ- محمد فتحي عبد الهادي. الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٧٦-١٩٨٥.- الرياض: دار المريخ، ١٩٨٩.- ٥٧٧ص.

ب- محمد فتحي عبد الهادي. الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٨٦-١٩٩٠.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٩٩٥.- ٦٥٥ص.

جـ- محمد فتحي عبد الهادي. الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٩١-١٩٩٦.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٠.- ٨٠٥ص.

د- محمد فتحي عبد الهادي. الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات: ١٩٩٧-٢٠٠٠.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٣.- ٧٢٨ص.

هـ- محمد فتحي عبد الهادي. الإنتاج الفكري العربي في مجال المكتبات والمعلومات: ٢٠٠١-٢٠٠٤.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ٢٠٠٧.- ٧٥٥ص.

[١٣]- يحيى محمود ساعاتي. مرجع سابق.- ص ص٦٦-٧٣.

[١٤]- سيف شاهين خلف المريخي. "تجارة الكتب عند العرب في القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين".- جامعة قطر: كلية الآداب، ٢٠١١.- ٢١١ص.

[١٥]- عابد سليمان المشوخي. مرجع سابق.- ٢١٥ص.

[١٦]- محمد كامل عبد الفتاح. "مواقع تجارة الكتب المستعملة على شبكة الإنترنت: دراسة تحليلية تقييمية مقارنة".- أطروحة ماجستير.- جامعة المنوفية: كلية الآداب. قسم المكتبات والمعلومات، ٢٠١٢.

[١٧]- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن أبي القاسم بن حبقة (ت٧١١/٥هـ/١٣٣١م). مرجع سابق.- ص ٤١٨.

[١٨]- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس: المجلد الثالث/ تحقيق عبد الكريم العزباوي.- ط١.- الكويت: وزارة الإرشاد والإنباء، ٢٠٠١.- ص٢٨١.

[١٩]- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. فتح الباري بشرح صحيح البخاري.- ط١.- بيروت: دار الريان للتراث، ١٩٨٦.- ص٤١٦.

[٢٠]- سورة طهَ.- الآية رقم ١٢٠.

[٢١]- عبد الله العروي. عمل ورأسمال

[٢٢]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ه/١٥٠٥م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- ط٢.- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩.- ص٩٧ .

[٢٣]- عبد الحرمن عويض المطيري. "المزاد العلني أحكامه وتطبيقاته المعاصرة: دراسة فقهية مقارنة".- أطروحة دكتوراة.- جامعة المنيا: كلية دار العلوم، ٢٠٠٧.- ص١٠١.

[٢٤]- عبد الحرمن عويض المطيري. "المزاد العلني أحكامه وتطبيقاته المعاصرة: دراسة فقهية مقارنة".- أطروحة دكتوراة.- جامعة المنيا: كلية دار العلوم، ٢٠٠٧.- ص١٠١.

[٢٥]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٥. مرجع سابق.- ص٦٩.

[٢٦]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ه/١٥٠٥م). مرجع سابق.- ص٩٧.

[٢٧]- محمد المنوني. مرجع سابق.- ص٢٩.

[٢٨]- المرجع السابق نفسه.- ص٢٩.

[٢٩]- حامد الشافعي دياب. الكتب والمكتبات في الأندلس.- ط١.- القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨.- ص٦٧.

[٣٠]- المقري التلمساني. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: المجلد الأول/ تحقيق إحسان.- بيروت: دار صادر، ١٩٦٨.- ص٤٦٣.

[٣١]- عابد سليمان المشوخي. مرجع سابق.- ص١٤١.

[٣٢]- عبد الحرمن عويض المطيري. "المزاد العلني أحكامه وتطبيقاته المعاصرة: دراسة فقهية مقارنة".- أطروحة دكتوراة.- جامعة المنيا: كلية دار العلوم، ٢٠٠٧.- ص١٠١.

[٣٢]- شعبان عبد العزيز خليفه. الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم، والشرق الأقصى.- ط١.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.- ص١٢١.

[٣٤]- محمد ماهر حماده. مرجع سابق.- ص٧٣.

[٣٥]- المرجع السابق نفسه.- ص ص٧٣-٧٤.

[٣٦]- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب. معيد النعم ومبيد النقم/ عنى بتصحيحه داوود والهلم موهرمن.- ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٨.- ص١١٠.

[٣٧]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: المجلد الخامس. مرجع سابق.- ص١٢٧.

[٣٨]- القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف. تاريخ الحكماء.- مصدر سابق.- ص ص٢٧٩-٢٨٠.

[٣٩]- خير الله سعيد. مرجع سابق.- ص٣٤٠.

[٤٠]- عبد الرحمن فرفور. "قواعد تقييم المخطوطات العربية والإسلامية".- دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الدورة التدريبية الدولية عن صناعة المخطوط العربي والإسلامي، ١٩٩٧.- ص٣٠.

[٤١]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: المجلد الثامن عشر. مرجع سابق.- ص٧٧.

[٤٢]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: المجلد السابع.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.- ص٢٣١.

[٤٣]- يوسف العش. دُور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط/ ترجمة نزار أباظة، ومحمد صباغ.- ط١.- دمشق: دار الفكر ؛ بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٩٩١.- ص٣٠٥.

[٤٤]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٥. مرجع سابق.- ص٦٩.

[٤٥]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ه/١٥٠٥م). مرجع سابق.- ص٩٧.

[٤٦]- خير الله سعيد. وراقو بغداد في العصر العباسي.- ط١.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات والإسلامية، ٢٠٠٠.- ص ٣٣٨.

[٤٧]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٩١١ه/١٥٠٥م). مرجع سابق.- ص٩٧.

[٤٨]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٣. مرجع سابق.- ص ص١٢٦-١٢٧.

[٤٩]- القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف. إنباة الرواة على أنباة النحاة: المجلد الرابع/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦.- ص ص٦٦-٦٧.

[٥٠]- ابن الفوطي، عبد الرازق بن أحمد الشيباني. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة.- ص ص١٥-١٦.

[٥١]- سيف شاهين خلف المريخي. مرجع سابق.- ص١١٢.

[٥٢]- نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

[٥٣]- محمد ماهر حماده. المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها.- ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٩٧٨.- ص١٦٩.

[٥٤]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٢. مرجع سابق.- ص٥٣.

[٥٥]- عابد سليمان المشوخي. مرجع سابق.- ص١٤١.

[٥٦]- المرجع السابق نفسه.- ص١٠٩.

[٥٧]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦ه/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٣. مرجع سابق.- ص ١٢٨.

[٥٨]- المرجع السابق نفسه.- ص١١٩.

[٥٩]- البنداري، قوام الدين الفتح بن علي. سنا البرق الشامي (وهو مختصر البرق الشامي للعماد الصبهاني)/ تحقيق رمضان ششن.- بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٧١.- ١/ص ص٢٣٤-٢٣٥.

[١٠]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: المجلد الخامس. مرجع سابق.- ص١٢٧.

[١١]- ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء/ شرح وتحقيق نزار رضا.- بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٦٥.- ص٦٥٥.

[١٢]- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق. الفهرست/ تحقيق شعبان عبد العزيز خليفة ووليد محمد العوزة.- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ١٩٩١.- ص٣٥٤.

[١٣]- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي. الكامل في التاريخ: المجلد الحادي عشر.- القاهرة: دار الطباعة المنيرية، ١٣٥٣هـ.- ص٢٤٢.

[١٤]- ويذكر العماد في موضع آخر من "البرق الشامي" أن دلاّل الكتب الذي اشتغل ببيع الكتب هو ناصر بن علي بن صورة، وكان سمسار الكتب بمصر. (الوافي، ج ٢٦، ص. ١٤٨ آ - ب؛ فوات الوفيات، ج ٤، ص. ١٨٤).

[١٥]- المقريزي، أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية: مج٢.- بيروت: دار صادر، د. ت.- ص ٢٥٤.

[١٦]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج٢.- القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠.- ص ص١٤٤- ١٤٥.

[١٧]- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير أعلام النبلاء: المجلد الثاني/ تحقيق شعيب الأرنؤوط، وأكرم البوشي.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣.- ص ص٢٨-٣١.

[١٨]- شعبان عبد العزيز خليفه. الكتب والمكتبات في العصور الوسطى: الشرق المسلم، والشرق الأقصى.- ط١.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٧.- ص ١٥٢.

[١٩]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج٢. مرجع سابق.- ص ص١٤٤- ١٤٥.

[٧٠]- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.- بيروت: دار الجيل، ١٩٩٣.- ص٣٤٩.

[٧١]- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المجلد الأول/ تحقيق إحسان عباس.- بيروت: دار صادر، ١٩٦٩.- ص١٩٧.

[٧٢]- المقريزي، أحمد بن علي. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية: مج٢.- بيروت: دار صادر، د. ت.- ص ٢٥٤.

[٧٣]- بطرس البستاني. مرجع سابق.- ص٤٢٦.

[٧٤]- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير أعلام النبلاء: المجلد الثالث عشر. مرجع سابق.- ص٣٠٥.

[٧٥]- ابن حميد النجدي، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرايح الحنابلة: المجلد الأول/ تحقيق بكر عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن سليمان العثيمين.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦.- ص١٧٨.

[٧٦]- رمضان ششن. نظرة عامة على الكتاب والمكتبات والوراقين في التاريخ الإسلامي.- استانبول: جامعة مرمرة، ٢٠١١.- ص٤.

[٧٧]- حبيب الزيات. "الوراقة والوراقون في الإسلام".- مجلة المشرق (١٩٤٧م).- ص٣٧.

[٧٨]- المرجع السابق نفسه.- ص ص٢٥-٢٦.

[٧٩]- المرادي، أبو الفضل محمد خليل بن علي(ت ١٢٠٦هـ) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: الجزء الثالث.- ط٢.- بيروت: دار ابن حزم، ١٩٨٨.- ص١٢٥.

[٨٠]- محمد ماهر حماده. مرجع سابق.- ص١٦٥.

[٨١]- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م). مرجع سابق.- ص١٢٩.

[٨٢]- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: المجلد العاشر.- حيد آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ.- ص٩٨.

[٨٣]- كوركيس عواد. خزائن الكتب القديمة في العراق: منذ أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة.- ط٢.- بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦.- ص ٢٤.

[٨٤]- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير أعلام النبلاء: المجلد العشرين. مرجع سابق.- ص٢٨.

[٨٥]- المرجع السابق نفسه.- ص٣٠.

[٨٦]- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: المجلد العاشر.- حيد آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٩هـ.- ص٩٨.

[٨٧]- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير أعلام النبلاء: المجلد التاسع عشر. مرجع سابق.- ص٤٦٨.

[٨٨]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٣. مرجع سابق.- ص ص١٢٦-١٢٧.

[٨٩]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: المجلد الثالث.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.- ص٢٥٦.

[٩٠]- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م). مرجع سابق.- ص٣٤٩.

[٩١]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: المجلد العاشر.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.- ص٤٤.

[٩٢]- عبد الرحمن فرفور. مرجع سابق.- ص٣٠.

[٩٣]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: المجلد الحادي عشر.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.- ص٢٣١.

[٩٤]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٥٦٢٦/١٢٢٩م). معجم الأدباء: المجلد الثامن عشر. مرجع سابق.- ص٧٧.

[٩٥]- حبيب الزيات. مرجع سابق.- ص٣٧.

[٩٦]- المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

[٩٧]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٥٦٢٦/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج٢.- القاهرة: دار الفكر، ١٩٨٠.- ص ص١٤٤- ١٤٥.

[٩٨]- حبيب الزيات. مرجع سابق.- ص ٣٦.

[٩٩]- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٥٦٨١ه). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المجلد الأول. مرجع سابق.- ص٢٠٣.

[١٠٠]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٥٦٢٦/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج٤. مرجع سابق.- ص٢٣٢.

[١٠١]- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٥٦٨١ه). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المجلد العاشر. مرجع سابق.- ص١٩٧.

[١٠٢]- ياقوت الحموي. نفس المرجع السابق.- ص١٢٩.

[١٠٣]- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٥٦٨١ه). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المجلد العاشر. مرجع سابق.- ص١٩٧.

[١٠٤]- محمد ماهر حماده. مرجع سابق.- ص١٦٥.

[١٠٥]- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (٥٩١١/١٥٠٥م). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين/ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- ط٢.- بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩.- ص١٠٠.

[١٠٦]- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع: المجلد الثامن.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.- ص ص٢٥٥-٢٥٦.

[١٠٧]- سيف شاهين خلف المريخي. مرجع سابق.- ص١٠٢.

[١٠٨]- المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

[١٠٩]- ابن حميد النجدي، محمد بن عبد الله. السحب الوابلة على ضرايح الحنابلة: المجلد الأول/ تحقيق بكر عبد الله أبو زيد، عبد الرحمن سليمان العثيمين.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦.- ص١٧٨.

[١١٠]- المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

[١١١]- حبيب الزيات. مرجع سابق.- ص ص٢٥-٢٦.

[١١٢]- خير الدين الزركلي. الأعلام: المجلد السادس.- ص ص١٨٨.

[١١٣]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٢. مرجع سابق.- ص١٩٢.

[١١٤]- القفطي، جمال الدين أبو الحسين علي بن يوسف. إنباة الرواة عن أنباة النحاة: مج٢/ تحقيق محمد أبو الفضل.- القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦.- ص٥٩.

[١١٥]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٨. مرجع سابق.- ص١٨.

[١١٦]- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: المجلد الأول. مرجع سابق.- ص٢٠٣.

[١١٧]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج١٥. مرجع سابق.- ص١٨٨.

[١١٨]- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ/١٣٤٨م). سير أعلام النبلاء: مج١٤. مرجع سابق.- ص٢٢١.

[١١٩]- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م). مرجع سابق.- ص ص٢١-٢٢.

[١٢٠]- ابن الخطيب. الإحاطة في أخبار غرناطة: الجزء الأول.- ص ص١٢٩-١٣١.

[١٢١]- ياقوت الحموي، أبو عبد الله (٦٢٦هـ/١٢٢٩م). معجم الأدباء: مج٥. مرجع سابق.- ص١٢٦.

[١٢٢]- الفيكنت فيليب دي طرازي. مرجع سابق.- ص٩١٥.

[١٢٣]- المرجع السابق نفسه والصفحة نفسها.

[١٢٤]- سيف شاهين خلف المريخي. مرجع سابق.- ص١١٤.